الروس والعثمانيون

الصراع والهيمنه ١٨٠٤–١٨٧٨م

– الامارة الصربية انموذجاً–

م.م. اكرم جمعة صالح

وزارة التربية العراقية/ المديرية العامة لتربية نينوى

(قدم للنشر في ٢٠١٩/٥/٢ ، قبل للنشر في ٢٠١٩/٦/١١)

ملخص البحث:

يتناول البحث الصراع الروسي العثماني ومحاولة هيمنة كل طرف على الاخر من خلال استغلال الامارة الصربية سياسياً وحربياً ، مارست روسيا سياسة توسعية وصراع على النفوذ واستخدمت طريقين لتنفيذ مشروعها الاول دبلوماسي اذ حثت منذ بدأ الثورة الطرفين على إيجاد حلول لإنهاء حالة الغليان مع مراعاة ان تقود هذه الدبلوماسية الى تقوية نفوذها السياسي في المنطقة ، اما الثاني تمثل بالتدخل العسكري والذي جعل الأراضي الصربية ساحة صراع حربي من خلال حروب طاحنة خاضها الطرفين وكان الثوار الصرب احد إطرافها إلى جانبهم ، حصل الصربيون على امتيازات بسبب المساعدة الروسية من اجل تنفيذ مشروعها التوسعي، ادى هذا في النهاية الى تمكن الروس من توسيع نفوذهم في اراضي الدولة العثمانية.

Russians and Ottomans conflict and Hegemony 1804 – 1878 Serbian principality model

Abstract:

The study deals with the Russian-Ottoman conflict and the attempt to control, by exploiting the Serbian government politically and militarily. Russia pursued an expansionist policy and a struggle for influence. Two methods were used to implement its first diplomatic project. Since the beginning of the revolution, while the second represents military intervention, which made the Serbian territories the scene of a military conflict through fierce wars fought by the two sides, this eventually led to the Russians to expand their influence in the territory of the Ottoman Empire.

المقدمة

بدأ العثمانيون منذ منتصف القرن الرابع عشر التوسع داخل شبة جزيرة البلقان[١] ، فقد حسمت معركتي ماريتزا ١٣٧١م وكوسوفو ١٣٨٩م سيطرة العثمانيين على البلقان ، ففي المعركة الاولى حقق مراد الاول (١٣٦٢ – ١٣٨٩ م) انتصاراً كبيراً على جيش ملك الصرب فوكاشين Vukashin (١٣٦٥-١٣٧١) الذي سقط قتيلاً في المعركة ، وفي المعركة الثانية حقق بايزيد الاول (١٣٨٩ – ١٤٠٢م) نصراً حاسماً على جيش مملكة البوسنة[٢] المتحالف مع امراء الصرب ، وتوالى بعد ذلك سقوط الكيانات السياسية في البلقان بيد العثمانين ، بعد دخولهم القسطنطينية سنة ١٤٥٣م سيطروا على مملكة البوسنة سنة ١٤٦٣م والهرسك سنة ١٤٦٥م ، وفي سنة ١٤٦٨م سيطروا على البانيا [٣] ، كما سيطروا على بلغراد[٤] سنة ١٥٢١م ، واخيرا كرواتيا التي سيطروا عليها سنة ١٥٢٦م وبذلك فرض العثمانيين سيطرتهم على البلقان بشكل كامل[٥] ، لكن هذه السيطرة بدأت تضمحل منذ إخفاقهم في اقتحام فينا عام ١٦٨٨ وحتى غزو نابليون لمصر ١٧٩٨م ، ومن الاحداث التي هزت الدولة العثمانية الهزيمة التي منيت بها في بلغراد عام ١٦٨٨م ، وكذلك معركة سلانكمن عام١٦٩١م التي قتل فيها الصدر الاعظم فاضل مصطفى كوبرلو ووقع قائد الجيش العثماني محمود جلبي في الاسر ، ومن ناحية اخرى دخلت الدولة العثمانية في عدة حروب مع روسيا بدءاً من سنة ١٦٧٧م ، ادت الهزائم المتتالية الى قبولهم عقد معاهدات غير متكافئة ، والتي بموجبها تنازلوا عن الكثير من الاراضي في البلقان والقرم[٦] .

من جانب اخر كانت النمسا تطمع بالسيطرة على بلاد الصرب وحاولت بشتى الوسائل لفرض سلطتها عليها ، بدأً من معارك ١٧١٦ والتي تمكن فيها النمساويين من دخول بلغراد واجبار العثمانيين على توقيع معاهدة بساروفتس عام ١٧١٨ وكان احدى بنودها حصول النمسا على مدينة بلغراد مع جزء كبير من بلاد الصرب ، كما جرت معارك بين النمسا وروسيا من جهة والدولة العثمانية من جهة ثانية في الفترة ١٧٣٧ – ١٧٣٩م بسبب مملكة بولونيا وخلال تلك الحرب تمكن العثمانيين من الحاق هزيمة قاسية بالنمساويين في بلاد الصرب وإجبارهم على توقيع معاهدة بلغراد ١٧٣٩م وتنازلهم عن بلغراد وما أعطي لهم من بلاد الصرب في معاهدة بساروفتس[٧] .

عملت النمسا دائما على تحين الفرص لفرض سيطرتها على أراضي الدولة العثمانية في البلقان وقد حدث ان تحالفت مع روسيا وشنت حربا على الدولة العثمانية في عام ١٧٨٩م واستطاعت النمسا السيطرة على بلغراد وأجزاء من بلاد الصرب

لكن بسبب قيام الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م وخوف الدول من امتدادها اليها ، عملت على ايقاف الحرب وعقد معاهدة زشتوى[٨] ١٧٩١م وبموجبها تم اعادة بلاد الصرب ومدينة بلغراد للدولة العثمانية[٩] .

ان استمرار الحروب الخارجية على جبهة البلقان وخاصة مع روسيا ادى الى تقطيع اوصال الدولة العثمانية ، وما احدثته من استنزاف للموارد الاقتصادية والبشرية ، ادت الى تزايد اعتماد الدولة العثمانية على الدعم المادي والعسكري للزعماء المحلين الذين اصبحوا منذ ذلك الحين يتمتعون بنفوذ وحرية اكثر تحت مظلة الدولة العثمانية ، بالاضافة الى قيام ثورات في بعض الولايات العثمانية رغم انها لم تكن تهدف في بادئ الامر الاستقلال عن الدولة العثمانية وانما اجراء اصلاحات مدنية مثل تحقيق العدالة او تخفيف الضرائب ، ادى هذا الامر الى قيام حركات في القرن التاسع عشر كانت تطمح الى سلخ ولايات معينة عن الدولة العثمانية وانشاء دول مستقلة ذات سيادة ، والواقع ان الدول العظمى آنذاك دعمت هذه الحركات التحررية ، وكان دعمها عاملاً حاسماً في نجاح هذهِ الحركات ، وعلى هذا كان القرن التاسع عشر العصر الذي تخلت فيه الدولة العثمانية عن الكثير من االولايات نتيجة للثورات التي قام بها سكان تلك الولايات ضد الحكم العثماني[١٠] .

اولاً :- الثورة الصربية الاولى (١٨٠٤ – ١٨١٣) والموقف الروسي منها .

١- بدايات تكون الحركة الوطنية الصربية وقيام الثورة

كانت صربيا في مطلع القرن التاسع عشر بلداً متأخراً يكّون العثمانيين الغالبية العظمى من سكان المدن ، اما الريف فغالبية سكانه من الصربيين ، وكان الفلاحين يشكلون الأغلبية الساحقة ، مع وجود عدد قليل من الحرفيين والتجار ، اما الاراضي الصربية فكانت تتبع لاربع باشويات ، بلغراد باشويا بذاتها ، والاجزاء الاخرى تابعة لباشويات البوسنة ودِين[١١] ولسكوفاتس[١٢] ، رغم ان غالبية السكان هم من الفلاحين فقد ظهرت في الريف تطورات اقتصادية واجتماعية ، وظهرت بين الفلاحين عناصر تشتغل بالتجارة وتربية الماشية ، وبذلك تكوّن في الريف فئة ميسورة أصبحت ذات نفوذ كبير لاسيما مسؤل الإدارة المحلية الذاتية في الريف كان يختارونه من بينهم ، هذا التطور كان يصطدم بالسيطرة العثمانية والاستغلال الذي فرضه العثمانيون على صربيا ، ولهذا بدء الصربيون العمل بكل الوسائل للتخلص من السيطرة العثمانية التي يعتبرونها مساً بكرامتهم الوطنية وسلباً لذاتهم القومية[١٣] .

كان ميدان الحروب التي تجري بين النمسا والدولة العثمانية هي الأراضي الصربية ، اذ ان تلك المعارك وما ارتبط بها من فوضى واضطرابات دفعت مجموعة كبيرة من الصربيين للهجرة الى المناطق النمساوية في البلقان وخاصة في جنوب المجر ، وعاش الصربيون في النمسا في ظروف جعلتهم في اتصال وثيق بالإحداث التي تقع في بلادهم ، وكان لابد ان يكون لهم تأثيراً مهماً على الحركة القومية ، كما ان الحروب التي كانت دائرة بين العثمانين والنمسا او الحروب العثمانية الروسية وخصوصاً على الحدود الصربية جعلت الصربيين يكسبون خبرة في القتال ، بالاضافه الى انهم اشتركوا في كثير من المعارك الى جانب روسيا او النمسا ضد الدولة العثمانية كعساكر نظامية ، او في وحدات غير نظامية ، او في وحدات خاصة تابعة لهم وتحت قيادة ضباط منهم ، اضافةً ان النمسا في فترات سيطرتها على بلادهم اعتمدت عليهم في كثير من الوظائف الإدارية فاكسبهم ذلك الكثير من الخبرات[١٤] .

برز التاجر كوتشي انجلكوفتش Kochi Ingelkovic في صربيا ابان الحرب الروسية – العثمانية ١٧٨٧ _ ١٧٩٢م والذي تزعم ثورة ضد العثمانيين ، وقد كان تأثير كوتشي كبيراً الى درجة أنه اطلق على نضال الصرب ضد العثمانيين في تلك الفترة بحرب كوتشي ، كما شكل الصربيون على اراضي النمسا التي اشتركت الى جانب روسيا في هذه الحرب فصائل عسكرية من المتطوعين ، لكن النمسا تخلت عنهم بعد عقدها صلح سيستوف ١٧٩١م مع الدولة العثمانية والتي اعادت النمسا بموجبه جميع الاراضي التي احتلتها اثناء الحرب ، ولم يحصل الصربيون من هذا الصلح سوا العفو عن الذين شاركوا في الحرب ، وضمان امنهم وسلامتهم ، لكن هذه الاضطرابات جعلت السلطان سليم الثالث (١٧٦١ – ١٨٠٨) ذو النزعة الاصلاحية الى القيام بالتفاوض مع الصربين واعطائهم بعض الحقوق في فرمان اصدره عام ١٧٩٤م تم بموجبه منع تواجد الانكشارية على اراضي بلغراد ، خصوصا اذا ما علمنا انهم سلبوا اراضي الصربيين وتحولوا الى ملاك لأراضي واسعة وظهرت منهم فئه جديدة من الملاكين عرفت بأسم تشفتلك صاحبي ، وعمل السلطان على اصدار فرمان ثاني في عام ١٧٩٦م وسع حقوق الاستقلال السياسي لباشاوية بلغراد ، اذا انفتح امام الصربيين امكانية التطور السياسي والثقافي والاجتماعي ، لكن عودة الانكشارية بعد تمرد حاكم باشوية ودِين عثمان باشوان اوغلى[١٥] وانضمامهم إليه ثم تطاولوا وحاصروا بلغراد ودخلوها عنوه وقتلوا حاكمها وانتشروا في البلاد يعيثون خرابا ، ادت هذه الاحداث الى الغاء جميع الحقوق والامتيازات التي حصل الصربيين عليها[١٦] .

في نهاية ١٨٠٣م ارتفعت اصوات الصرب في شرق البلاد بطلب المساعدة من روسيا وتزعم هذه المطالب مطران النمسا ستراتيميروفيج Stratimirufij وهو من اصل صربي ، والذي بعث في بداية عام ١٨٠٤م الى مدينة سان بطرسبروغ مذكرة تشير الى تشابه الدين واللغة وطريقة حياة الصربيين مع روسيا وقدم للروس بعض الاقتراحات متمثلة بعدة طرق لتحرير صربيا ، منها إبقاء أجزاء من صربيا تحت حكم الدولة العثمانية إلا إن الإدارة الداخلية تكون مستقلة وتحت رعاية روسيا[١٧] ، نتيجة للأحداث التي أعقبت سيطرة الانكشاريين على بلغراد تحت قيادة باشوان اوغلى ، رد الصربيون على ذلك بتشكيل فصائل مسلحة بدأت كفاحاً مسلحا ضد العثمانيين ، وعقد الثوار في بداية شباط ١٨٠٤ اجتماعاً تقرر فيه القيام بثورة وانتخبوا جورج بتروفتش George Petrovich [١٨] زعيما لهم والذي عرف باسم قره جورج ، اتخذت الحركة الثورية منذ البداية طابعا جماهيرياً حيث شملت كل بلغراد واخذ عدد الثوار يزداد بسرعة حتى بلغ في نهاية اذار١٨٠٤م ما يقرب من ٤٨ الف شخص ، وتألفت القوة الأساسية للثورة من الفلاحين ، في حين كانت قيادتها من ممثلي الإدارة الريفية المحلية ورجال الدين وكبار التجار ، كانت الحكومة العثمانية تعاني من وضعاً صعباً بسبب الفوضى في أنحاء الدولة العثمانية ، بالإضافة إلى أنها كانت تعد الانكشارية آنذاك خصومها بسبب وقوفهم ضد إصلاحات السلطان سليم الثالث ، لذلك فأنها لم تجابه الثورة بحزم وفضلت الوقوف موقف المتفرج طالما إن الانتفاضة موجهة ضد الانكشارية الذين كانوا في الواقع لا يعترفون بسلطة الحكومة العثمانية ، وعلى هذا تمكن الثوار من تحقيق انتصارات متتالية تمكنوا من خلالها السيطرة على تسع مناطق من أصل إحدى عشر وذلك في أواسط آذار من العام نفسه[١٩] .

ان الثورة في بدايتها كانت تهدف الى استعادة حقوق الحكم الذاتي التي كانت الحكومة العثمانية وافقت عليها من قبل ، وآنذاك كان ممثلوا الثورة على اتصال منتظم بالحكومة العثمانية بشأن تحقيق مطالب الصربيين حيث أكدوا خلال مباحثاتهم مع الحكومة العثمانية إن غرضهم التوصل إلى شروط تضمن وضع حكومتهم الذاتية داخل نطاق الدولة العثمانية ، وكانت مطالبهم تتلخص في إبعاد رؤساء فرق الانكشارية والعفو التام عن المتمردين الصرب ، بالإضافة إلى اعتراف الباب العالي برئيس من بين الصربيين يكون كبيرهم ، ويكون مسؤولا عن باشاوية بلغراد ، ومسؤولا عن تسديد الضرائب[٢٠] .

بهذهِ المطالب الصربية كان على الحكومة العثمانية ان تواجه تمرد فرق الانكشارية مره اخرى ومما ساعدها في ذلك ان علاقتها

بالسكان كان قوية وان السلطان سليم الثالث نفسه لم يرغب في الوقوف ضد اماني الصرب ، وعلى هذا اوفد ابو بكير باشا حاكم البوسنة الى بلغراد للقضاء على الانكشارية وقد نجح بالحاق الهزيمة بهم ، لكن في حقيقة الامر لم تكن الدولة العثمانية راغبة رغبة حقيقية في تقرير الحكم الذاتي للصرب ، الامر الذي دفع زعمائهم للبحث عن مساندة خارجية لضمان تنفيذ شروط الحكم الذاتي ، وهكذا بقيت الأوضاع على حالها لذلك اخذ زعماؤها يتطلعون للاتصال ببعض الجماعات في البوسنة والهرسك وعصابات اللصوص اليونانيين وحكام مولدافيا[٢١] وولاشيا[٢٢] استعداداً لإمكانية التحرك في المستقبل ، وعلى الجانب الآخر اخذت فرق الانكشارية تتجمع من جديد وتضم اليها العصابات الخارجة على القانون لتثير الفساد والرعب بين الاهالي[٢٣] .

٢- بواكير الموقف الروسي تجاه الثورة .

كان زعماء الصرب يرنون ببصرهم لحكومتي النمسا وروسيا لتقديم العون لهم ، كتب جورج بتروفتش رسالة إلى ملك النمسا يطلب منه المساعدة ومساندة الثورة ، لكن النمسا كان موقفها وسياستها تهدف الى الحفاظ على الحكم العثماني الذي لم يعد يشكل خطراً على النمسا ، ومن جهة انشغالها مع نابليون وسياسته التوسعية ، مما اصاب الصربيون خيبة امل كبيرة ، فتوجهوا الى روسيا[٢٤] .

بعد ان اقتنع الثوار بأن النمسا لن تقدم لهم المساندة بادروا بالاتصال بالقيصر الروسي الكسندر الاول Alexander I (١٧٧٧-١٨٢٥) ، وهكذا توجهوا في ٣ ايار ١٨٠٤ الى السفير الروسي ايتانلسكي في اسطنبول برسالة طلبوا فيها مساعدة وحماية القيصر الروسي والتمسوا من الحكومة الروسية ان تساندهم امام الحكومة العثمانية وخصوصاً طلبهم بمنح صربيا استقلالاً ذاتياً داخلياً شبيهاً بالذي تتمتع به مولدافيا وولاشيا والمناطق اليونانية الواقعة تحت حماية روسيا ، وفي أيلول من السنه ذاتها ارسل الثوار الى بطرسبورغ وفداً برئاسة احد زعمائهم ، وقدم الوفد في تشرين الثاني ١٨٠٤ إلى وزارة الخارجية الروسية التماساً تحريرياً طلب فيه مساعدة روسيا في إنشاء دولة صربية مستقلة على غرار جمهورية الجزر السبع[٢٥] مع موافقتهم على زيادة الإتاوة السنوية التي يدفعونها للسلطان ويحاربون معه عندما يطلب ذلك ، وطلب الصربيون أيضا المساعدة بالأموال والسلاح وتعيين قنصل روسي في صربيا لكي يكون وسيطاً وضامناً عند عقد الصلح مع العثمانيين[٢٦] .

بسبب الظروف الدولية وتفاقم الصراع بين فرنسا وبريطانيا ولاسيما بعد بروز نابليون بونابرت للسيطرة على حوض البحر

المتوسط ومجابهة بريطانيا للتوسع الفرنسي ، وظهر احتمال استيلاء هاتين الدولتين على الاراضي العثمانية في البلقان ، والتغلغل في منطقة المضايق الأمر الذي دفع روسيا ومعها النمسا الى العمل على المحافظة على الدولة العثمانية الضعيفة لان بقائها هناك أفضل من استحواذ فرنسا او بريطانيا على المنطقة ، كثفت روسيا لمجابهة هذا الخطر وقامت بجملة من الإجراءات في هذا السبيل وكان على روسيا من اجل مقاومة الدعاية الفرنسية التي كانت تداعب الآمال التحررية لشعوب البلقان ان تتخذ من المواقف مايستجيب لآمال تلك الشعوب ، وبالمقابل كان على الحكومة الروسية ان تحسب لاحتمال انهيار الدولة العثمانية بسبب التوسع الفرنسي ، كما عليها أن تحسب حساب الدولة العثمانية اذا ما ظلت قائمة ، وعلى هذا اعتقد القيصر الكسندر بأن من الممكن تحقيق هذه الأهداف المتعارضة عن طريق إحجام الحكومة الروسية في الظرف الراهن عن إعطاء أية وعود او الإدلاء بأي تصريح ، وان تستعيظ عن ذلك بالإعلان عن عزمها على السعي لدى الحكومة العثمانية بمنح بعض مناطق القسم الغربي من شبة جزيرة البلقان استقلالاً ذاتياً واسعاً ، ومن هنا جاء طلب الثوار الصربيين الذي لم يطرحوا مسألة استقلال صربيا استقلالاً كاملاً، اذ اقتصر على اعطاء صربيا استقلالاً ذاتياً متوافقاً مع السياسة الروسية في تلك المرحلة ، كما دعت الحكومة الروسية الى عدم القاء السلاح والتوجه بنفس الوقت الى الحكومة العثمانية طلباً لموافقتها على ان يحكم صربيا موظفون صربيون وسحب العساكر العثمانية ويتعهد الصرب بالمشاركة بالحرب مع الدولة العثمانية بخمس الاف مقاتل في حال دخولها الحرب ، توجه وفداً صربياً الى اسطنبول في ايار ١٨٠٥ يحمل الى الحكومة العثمانية المطالب الصربية ، وقد أوفت الحكومة الروسية بوعدها للوفد الصربي بإسنادهم دبلوماسياً ، فطلب سفيرها في استانبول من الحكومة العثمانية بأن يمنح الصربيين امتيازات مشابهة لتلك التي تتمتع بها مولدافيا ولاشيا ، لكن الحكومة العثمانية رفضت هذا الاقتراح بالطبع لأنها تدرك بأن السماح بإنشاء كيان سياسي في بعض مناطق الدولة العثمانية يعني التعجل بانهيارها بالإضافة الى تقوية نفوذ روسيا السياسي بين رعايا الدولة العثمانية في البلقان[٢٧] .

وعلى هذا اضطر السلطان سليم الثالث الى تغيير موقفه حيث اصبح مقتنعاً بأن الصربيين متمردون ووجوب تأديبهم ، وقام بتعيين حاكم جديد لبلغراد ، وزوده بجيش للتعامل مع الصربيين ، لكنه هزم عند ايفانكوفو في اب ١٨٠٥ الامر الذي شجع الصربيين على التقدم نحو بلغراد ، وفي تشرين الثاني استولوا على سميدروفو التي اصبحت اول عاصمة لحكومة الصرب الجديدة ، ازاء هذه

التطورات ابدت الحكومة العثمانية رغبتها التفاوض لحل المسألة لصربية مع إبداء استعداد حقيقي لتقديم تنازلات كبيرة ، وكان من شأن هذا الموقف ان تتغير مواقف كل من الصرب والروس ، الصربيون الذين حققوا نجاحا في المعارك الحربية كانت تجذبهم أكثر فكرة الاستقلال خصوصاً بعد ان أظهرت الدولة العثمانية استعدادها لمنحهم قدرا كبيرا من الحكم الذاتي ، لكن تحت الظروف القائمة ظل إغراء استمرار الثورة لتحقيق استقلال حقيقي أمراً قوياً ، وكان الصربيون يدركون إن التوصل إلى قرار نهائي في هذا الشأن يتوقف على موقف روسيا الذي سيكون له تأثير حتمي على مستقبل وجود دولة صربية قوية[٢٨]، اما الروس فقد استطاعوا فتح محادثات صلح بين العثمانيين والصرب ، لكن الدولة العثمانية اشترطت فتح محادثات الصلح على ان يخفف الصربيين من شروطهم ، وعلى هذا وافق الصربيين على ان تكون الشروط التالية اساسا للمحادثات ، يعترف الصربيون بأنهم رعايا الدولة العثمانية ويدفعون لها جزية سنوية يحدد مقدارها فيما بعد ، تدفع الجزية الى الموظف الذي ينتدبه الباب العالي ، يتقلد الصربيون جميع الوظائف الادارية والمالية الاخرى ويمارسون مهماتهم تحت اشراف الدولة العثمانية ، يسحب من باشوية بلغراد جميع الانكشارية الذين لا يطيعون الدولة العثمانية ومن هم على غرارهم من الفصائل المسلحة ، ويلتزم الصربيون بالدفاع عن قاطع الحدود العثمانية الذي يوضع تحت تصرفهم ، قاد المفاوضات مندوب الثوار بيوتر ايتشكو Piotr Ichko مع الدولة العثمانية وتوصلوا الى عقد صلح ايتشكو، وقد أقرت الدولة العثمانية بالحكم الذاتي للصرب على أن يدفعوا جزية سنوية[٢٩] .

٣- تداعيات الحرب الروسية العثمانية ١٨٠٦ – ١٨١٢م على الصرب .

تمكن نابليون بسبب انتصاراته في اوربا من تنشيط سياسته تجاه الدولة العثمانية وبدأ بالضغط لإلغاء المعاهدة العثمانية–الروسية المعقودة سنة ١٨٠٥م ، على اثر ذلك أعلنت الدولة العثمانية إلغاء المعاهدة في ٢٤ تشرين الأول ١٨٠٦م والدخول في مفاوضات مع فرنسا لعقد معاهدة دفاع مشترك ، إمام تلك الإجراءات أصدرت الحكومة الروسية أوامرها في ٢٨ تشرين الأول ١٨٠٦م لقواتها باحتلال ولايتي مولدافيا وولاشيا ، بالمقابل أعلنت الدولة العثمانية الحرب على روسيا في ٢٧ كانون الأول ، كما أصدرت مذكرة وزعتها على سفراء الدول الأجنبية في استانبول ، تضمنت إعلان الحرب على روسيا واتهمتها بضم منطقة القرم ومساعدة الثوار الصرب ضد الدولة العثمانية واحتلال ولايتي مولدافيا وولاشيا[٣٠] .

ان ما حققه الصربيون في صلح ايتشكو هو ما كانوا يطالبون به في بداية الانتفاضة إلا أنهم قرروا بعد قيام الحرب الروسية – العثمانية (١٨٠٦–١٨١٢) التخلي عن الصلح ومواصلة القتال والتعاون مع القوات الروسية للتخلص نهائياً من السيطرة العثمانية ، والواقع إن الثوار كانوا قد توجهوا منذ آذار ١٨٠٦م أي قبل ان تبدأ الحرب بين روسيا والدولة العثمانية الى القائد العام للجيش الروسي في منطقة الدنيستر الجنرال ميخلسون Mkhalson طالبين المساعدة فارسل ميخلسون الى صربيا ضابطاً وكلفه بأن يستوضح حاجات الثوار وان يبدي المساعدة لهم ، وعلى هذا وسع الثوار عملياتهم واستولوا على قلعة شاباتس وفي اذار ١٨٠٧م قتل الثوار باشا بلغراد وهو في طريقة الى استانبول وقتلوا محصل الضرائب ايضاً ، وفي الوقت نفسه حقق الثوار نجاحا ملحوظا إلى درجة أصبح جورج بتروفتش سيد الباشوية بلا منازع ، وهذا يعني إن الثوار قرروا القطيعة التامة مع الدولة العثمانية ، وبالفعل فقد عقد جورج بتروفتش مؤتمرا لقادة الثورة تقرر فيه مواصلة الحرب بالتحالف مع الحكومة الروسية[٣١] .

حدث تغيرات على الساحة الدولي وخصوصاً بعد خسارة روسيا في معركة تريلاند في ١٤ حزيران ١٨٠٧م وبدأت تعمل للتحالف مع نابليون وهذا ماحدث فعلا اذ وقع الطرفان صلح تلست[٣٢] في تموز ، والذي ادى بدوره الى انسحاب الأسطول الروسي من بحر الادرياتيكي وتسلم المناطق التي نص عليها الصلح الى فرنسا والتي تشكل أضعاف مواقع روسيا في البلقان ، كان لهذا الصلح تداعياته سيئة على الصرب ، فقد نتج عنه عقد الروس هدنة سلوبوزيا مع الدولة العثمانية ، رغم ان المفاوضين الروس كانت لديهم تعليمات بعدم التخلي عن الصرب ، لكن هذه الهدنة قادت في طبيعة الامر الى ازدياد مواجهة العثمانين للثورة الصربية ، فانهارت خطط إنشاء دول مستقلة في غرب البلقان ، كما ان الصربيين لم يحصلوا على المساعدة من الدول الأوربية كالتي كانت تقدمها روسيا لهم ، لكن سرعان ما ساعدتهم الأحداث التي جرت في استانبول من قيام الانكشارية بانقلاب على السلطان سليم الثالث في ٢٩ أيار ١٨٠٧م وعزله ومن ثم قتله وتولي الحكم مصطفى الرابع (١٨٠٧ _ ١٨٠٨) الذي بقي فترة وجيزة استلم الحكم بعده محمود الثاني (١٨٠٨–١٨٣٩) ، أدت هذه الأحداث إلى قيام اتصالات بين الروس والصربيون في حزيران ١٨٠٧م نتج عنها عقد ميثاق جورج بتروفتش _ بالوتشي ، نص الاتفاق على أن تقوم روسيا بوضع صربيا تحت حمايتها وتعين حاكما كفؤاً يقود الشعب ويضع دستور للبلاد ، على أن يجري إقرار الدستور وتعيين السلطات العسكرية والمدنية بإسم القيصر الروسي ، بالاضافه إلى

تقديم مساعدات عسكرية وسياسية للصربيين[٣٣] ، أمام هذا الدعم تبنى جورج بتروفتش سياسة تهدف إلى استقلال الصرب استقلالاً كاملاً وليس مجرد الحصول على الحكم الذاتي[٣٤] .

أرسلت روسيا الممثل الدبلوماسي رودوفينيكين Rodovnikin في ٢ اب ١٨٠٧م الى صربيا وزادت من مساعداتها للثوار فأرسلت السلاح والمال والخبراء العسكريين ، وساعد رودوفينيكين الثوار بإقامة صلات خارجية ولعب دورا بارزا في تحجيم دور العناصر الموالية للنمسا بين قادة الانتفاضة[٣٥] ، هذا إذا ما علمنا إن النمسا كانت معارضة لإقامة دولة صربية بحماية روسية ، أدى التعاون الروسي- الصربي على استيلاء القوات الروسية على مدن اسماعيل وسلترية ورستجق ونيقوبولي وبازارجق[٣٦] .

انضم الجبل الأسود للقتال إلى جانب الصرب ومع تجدد القتال في ١٨٠٩م شن جورج بتروفتش هجوماً ناجحاً على نوفي بازار ، الا انه هزم هزيمة شديدة في نيش امام القوات العثمانية التي سيطرت على مدينتي بوزاريفاتس وياجودينا اللتين تسيطران على الطريق المؤدي الى بلغراد ، مما ادى الى فرار عدد كبير من الصربيين عبر الدانوب ومعهم المبعوث الروسي رودوفينيكين ، بادرت القوات الروسية إلى انجاد الثوار الصربيين وأنقذتهم من الاندحار التام اذ انتصرت على العثمانيين في منطقة الدانوب ، في هذه الأثناء وقفت قوات الثوار الصربيين وقدمت مساعدة للقوات الروسية وأصبحت تحارب إلى جانبها ، هذه التطورات جعلت الروس يعملون على إعادة قواتهم إلى صربيا ، وفعلا أرسلت في ١٨١٠م المارشال كوتوزوف Kutuzov مزود بأسلحة ومعدات ومواد طبية للاشتراك مع الصربيين في وضع خطة مشتركة للمواجهة ، مما جعل الصربيين يشعرون إن انتصارهم في قضيتهم بات قريباً ، كما قامت روسيا بالعمل للتوصل الى حل يرضي الثوار ، ولهذا فأن جميع مسودات المعاهدات وشروط الهدنة التي وضعتها روسيا ، كانت تتضمن شرطاً أساسياً وهو تأمين مصير الصرب كأساس للتسوية السلمية مع الدولة العثمانية ، وكانت روسيا آنذاك ترى بأن ذلك يتحقق بأن تقوم دولة صربية مستقلة فعلياً على ان تدفع للدولة العثمانية جزية سنوية معتدلة ، وتكون أراضي الدولة الصربية المزمع إنشاءها تشمل كل من بلغراد وصربيا الجنوبية ، بالاضافه إلى الأراضي الواقعة على الضفة اليسرى لنهر تيموك ويحكمها أمير صربي يتولى منصبه بالوراثة ، يستند بسلطته على دستور ومجلس شيوخ يلعب فيه ممثل روسيا دوراً كبيراً ويقع تحت سيطرته ، وعلى هذا تكون صربيا ركيزة أساسية تستغلها روسيا في صراعها مع

النمسا ، وفي توسيع المواقع الروسية على حساب الدولة العثمانية في البلقان[٣٧] .

٤- معاهدة بوخارست ١٨١٢م وانعكاسها على الصربيين

في هذه الأثناء فترت العلاقة بين روسيا وفرنسا لعدم تنفيذ بنود معاهدة تلست انفه الذكر ، وكانت الحرب بينهما قاب قوسين او أدنى ، فعملت روسيا على البدء بمصالحة الدولة العثمانية التي قبلت والتقى المندوبون في بوخارست ، وبعد مداولات توصل الطرفان في ٢٨ آذار ١٨١٢م إلى عقد معاهدة بوخارست[٣٨] واهم بنودها المادة الثامنة التي تتعلق بصربيا والتي نصت على:-

" يعمل الباب العالي وفقاً لمبادئ اللطف والشهامة تجاه الصربيين الذين كانوا لفترة طويلة تحت سيطرته وعدم النظر إلى الموقف الذي اتخذوه في الحرب ، من اجل التوصل إلى اتفاق رسمي باحترام أمنهم الكامل ، ومنحهم عفوا شاملاً ، وترك تنظيم شؤونهم الداخلية لأنفسهم (استقلالاً ذاتياً) ، وتوضع عليهم ضرائب معتدلة ، وتسليم الحصون والقلاع للدولة العثمانية "[٣٩] .

تصرفت روسيا بأنانية أثناء التفاوض فقد تخلت عن حلفاءها الصرب مع حرصها الحصول على باسارابيا، دون مبالاة بشأن مصيرهم ، كما يلاحظ أن غموضاً بالشروط المنصوص عليها في المعاهدة فيما يتعلق بالمواقف المستقبلية بين العثمانيين والصرب كان ربما مقصوداً من جانب الروس ، لأنهم يعرفون جيداً إن نزاعات مستقبلية ستترتب على ذلك بين العثمانيين والصرب وستوفر لهم ذريعة للتدخل مره ثانية[٤٠] .

شكلت هذه المعاهدة صدمة لدى الصربيون إذ أرجعتهم إلى سلطة الدولة العثمانية ، بعد ماقدموه من الأرواح والأموال في نيل الاستقلال[٤١] ، رغم ان الحكومة الروسية قامت بتشجيعهم على التفاوض المباشر مع الدولة العثمانية ، لكنهم أحسوا بالقلق ، إذ أصبح جلياً ان الروس سيسحبون قواتهم من بلاد الصرب بالإضافة إلى مولدافيا وولاشيا ، هنا تأكد الصربيون ان الروس بعد الآن سيكون دعمهم دبلوماسيا فقط[٤٢] ، مع ان المعاهدة لم ترض الصرب الا انهم دخلوا في بداية عام ١٨١٣م في محادثات مع الدولة العثمانية حول ماجاء فيها بخصوصهم ، أطال المفاوضون العثمانيون المحادثات عمداً ثم شنوا في صيف ١٨١٣م هجوماً عاماً على صربيا مستغلين انشغال روسيا بحربها مع فرنسا ، تقدمت الجيوش العثمانية من البوسنة ومن مدينة نيش وقسم آخر من مدينة وِدين ، واستطاعت القوات ان تكسر مقاومة الثوار وتقمع الانتفاضة وتعيد السلطة العثمانية الى صربيا ، فاضطر جورج بتروفتش الهرب الى النمسا ، ودخل العثمانيون بلغراد[٤٣] ، فرجع الموظفين العثمانيين الى مركزهم كما كانوا قبل قيام الثورة ، فهاجر زعماء الثورة الى النمسا والمجر بانتظار الفرصة للقيام بالثورة من جديد طلباً للاستقلال[٤٤] .

ثانياً : – الثورة الصربية الثانية (١٨١٤– ١٨٤٤) ودور الدبلوماسية الروسية .

في هذه الفترة قُدم للصربيين عرضاً للتحالف ضد العثمانيين من قبل مولا باشا (Mola Pasha) الذي مثل رئيسه السابق باشوان اوغلى الذي كان دائما في تمرد ضد الدولة العثمانية ، رفض الصرب العرض امتثالاً لنصيحة الروس الذين كانوا يسعون لحث الدولة العثمانية للانضمام إلى حلف ضد فرنسا ، لكن على اثر اجتياح الجيوش العثمانية بلاد الصرب كما اسلفانا ، شعرَ الصربيين بالياس من التخلص من العثمانيين[٤٥] ، ساءت اوضاعهم وازدادت معاناتهم بعد ان عاد مُلاك الاراضي ، وأُجبر الفلاحون على العمل تحت السخرة لصالح أصحاب الأرض ، هذا الأمر أدى الى قيام انتفاضة جديدة في منطقة تشاتشك في خريف ١٨١٤م ، تمكنت السلطات العثمانية من القضاء عليها ، لذا عمل الصربيين على استغلال مؤتمر فينا للحصول على الدعم والإسناد من ممثلي الدول الأوربية لكن محاولتهم لم تنجح ، الامر الذي دفع من بقى من قادة الصربيين للعمل على الإعداد لحركة ثورية ثانية[٤٦] ، إلا احدهم وهو ميلوش اوبرينوفتش[٤٧] الذي اظهر الولاء للدولة العثمانية وعينته أميراً على ثلاث مناطق ، ثم تعاون معهم في تهدئه وإخماد انتفاضة ١٨١٤م[٤٨] ، لكنه ظل يهيج أفكار الصربيين على الثورة ويبث فيهم روح الحرية إلى ان تأكد استعدادهم للثورة ، انتهز فرصة عيد الزحف الذي يسبق عيد الفصح في نيسان ١٨١٥م حيث كان جميع اهالي بلدة تاكوفو والقرى المجاورة مجتمعين ودعاهم للثورة فلبوا وانضم إليه جميع الأهالي وعاد المهاجرون وامتدت الثورة الى جميع أنحاء الصرب وحققوا انتصارات على العثمانيين[٤٩] .

١– الدبلوماسية الروسية في هدنة عام ١٨١٥م بين الصرب والعثمانيين .

توجه الثوار الى النمسا طالبين السلاح لتعزيز الانتصارات التي حققوها لكن النمسا رفضت تقديم المساعدة لهم ، كما إنها أغلقت حدودها معهم ، الأمر الذي قادهم للتوجه إلى روسيا التي استجابت لطلبهم وبدأت بالتدخل دبلوماسياً[٥٠] ، هنا كانت الظروف الداخلية والدولية الى جانب الصربيين ، داخلياً كان عدد الثوار الصرب أفضل مقارنة مع القوات العثمانية ، ودولياً فأن حالة الحرب السائدة في تلك الفترة في أوربا قد انتهت بمعركو واترلو والقضاء على نابليون ، في هذه الأثناء لم تكن الدولة العثمانية على استعداد لمواجهة ثورة كبرى ، كما خشيت ان تصبح المسألة الصربية موضوعاً للمفاوضات لهذا ابتعدت ولم تشارك في مؤتمر فينا ، كانت هذه التطورات دافعاً للدولة العثمانية للدخول في مفاوضات مع

الصرب ، اما الروس فالحرب في أوربا انتهت ولم يعد نابليون يشكل خطراً ما أتاح لهم الاهتمام بشكل جدي بالمسألة الصربية ، لذا كان من نتيجة التدخل الروسي ان هيأت الطرفين للتفاوض ، ذهب وفد صربي الى استانبول واعلن ان التمرد لم يكن ضد السلطان لكن كان موجه ضد سليمان باشا الحاكم العثماني في صربيا ، وجد المفاوضون الصربيون دعما كبيراً من الحكومة الروسية والتي أخبرت الدولة العثمانية بأنها اذا لم تتوصل الى اتفاق مع الصربيون فأنها سوف تثير مسألة تطبيق المادة الثامنة من معاهدة بوخارست ، استجابت الدولة العثمانية وعزلت سليمان باشا وعينت علي باشا مرعشلي بدلاً عنه ، والذي بدوره توصل الى هدنة مع ميلوش في آب ١٨١٥م[٥١] نصت على :-

أ- عدم التدخل في الشؤون الداخلية الصربية .

ب- عدم تدخل الدولة العثمانية في إجراءات تحصيل الضرائب .

ت- الاتفاق على تعيين مجلس وطني اطلقوا عليه اسم (سوبرانيا) مؤلف من اثني عشر عضواً ينتخبه الأهالي من الوجهاء ، والذي ينتخب رئيساً لهم كحاكم عام.

ث- مسؤولية الدولة العثمانية تتلخص في المراقبة والتمركز في الحصون والقلاع .

أعطت الدولة العثمانية الوالي مرعشلي باشا تعليمات بمعاملة الصربيين بالرفق واللين ، لم يكن تهاون العثمانيين وتنازلهم إلا خشية من تدخل روسي محتمل ومتوقع لصالح الصربيين ، وهذا ما ادى الى التسوية السلمية[٥٢] .

٢- المحادثات الروسية العثمانية حول القضية الصربية (١٨١٦ - ١٨٢٩م) .

اصدرت الحكومة العثمانية في بداية ١٨١٦م عددا من المراسيم ، تنص على ان يدفع الصربيين الضرائب على دفعتين ، وان تكون لتجارهم في الدولة العثمانية حرية التجارة ، يشترك ممثلوا الإدارة المحلية مع العثمانيين في تقلد الوظائف الإدارية والقضائية في النواحي والأقاليم ، كان إصدار هذه المراسيم بسبب خشيت الدولة العثمانية من انتفاضة جديدة ، وخوفاً من تدخل روسي لاسيما ان دورها في اوربا ونفوذها أصبح كبيراً جداً بعد القضاء على نابليون[٥٣] ، في هذه الفترة اصبح ميلوش الحاكم المطلق في صربيا ولا سلطه للوالي العثماني عليه ، خصوصاً بعد ان تخلص من قره جورج

وإزاحة منافسيه الآخرين ، واستبد بالسلطة كملك مطلق ، ونادى به المجلس الوطني الصربي اميراً يحكم بصورة وراثية[٥٤] .

حاول ميلوش الحصول على الاستقلال لكن الدولة العثمانية كانت ترفض الاعتراف بالاستقلال الذاتي للإمارة الصربية ، اما الروس فكانوا يضغطون عليها باستمرار مطالبين بتنفيذ ما التزمة به بموجب معاهدة بوخارست ، ودخلت الحكومة الروسية مع الدولة العثمانية في محادثات حول المسألة الصربية وجرت بينهم اتصالات ، في الفترة ١٨١٦ – ١٨٢٠م لم تؤدي الى نتيجة بسبب إصرار الدولة العثمانية على رفض منح صربيا الاستقلال الذاتي ، ادى قيام الثورة اليونانية ١٨٢١م الى تعقيد العلاقات بين الروس والدولة العثمانية ، قدمت على اثرها الحكومة الروسية انذاراً في ١٧ اذار ١٨٢٦م طالبت فيه بأن تسحب الدولة العثمانية قواتها من مولدافيا ، وان تعيد لصربيا جميع الحقوق التي منحتها معاهدة بوخارست ، اضطرت الدولة العثمانية الى الإذعان والتزمت بموجب ميثاق اق كرمان الذي وقعه الطرفان في ٧ تشرين الثاني ١٨٢٦م[٥٥] ، والتي كانت المادة الخامسة مخصصة للمسألة الصربية ونصت على مايلي:-

" بما إن الباب العالي العثماني يرغب في أن يبرهن للحكومة الروسية الامبراطورية على ميله الودي وتيقظه التام لإتمام كافة شروط معاهدة بخارست فسيشرع في إجراء جميع قيود البند الثامن من المعاهدة المذكورة المختصة بالأمة الصربية . . . ، فعلى هذا ينظم الباب العالي مع مندوبي الامة الصربية الطرق التي يحكم بأنها أكثر موافقة لتأمين تلك الأمة على الامتيازات التي اشترطت لصالح . . . ، ويصدر بها فرمان عالي محلي بالخط الشريف الهمايوني ويجري مقتضاه بالدقة في اقصر مدّة ممكنة وغايتها مدّة الثمانية عشر شهراً ، وهذا الفرمان يرسل لحكومة روسيا الامبراطورية وحينئذ يعتبر متمما للاتفاق الحالي "[٥٦] .

حرصت الدولة العثمانية على ان يسري مفعول البند الثامن من معاهدة بخارست استناداً على معاهدة اق كرمان ، فقد سمحت للمندوبين الصرب في القسطنطينية بأن يقدموا طلباتهم ، عرض المندوبين في بادئ الامر مايتمناه الصربيون في بعض المواضع ، مثل حرية الاديان ، وانتخاب رؤسائهم واستقلال ادارتهم الداخلية ، وانضمام الأقسام الصربية المنفصلة عنها ، وتوحيد الأموال الأميرية الى نوع واحد ، تسليم إدارة العقارات المملوكة لبعض المسلمين الى الصربيين بشرط ان يدفعوا عنها ضرائب معينة ، حرية التجارة والتصريح للتجار الصرب بالسفر بالممالك العثمانية ببطاقات الجواز الخصوصية بهم ، تشييد المشافي والمطابع ، لكن عند فحص الطلبات حصلت موانع ، اوجب تأجيلها من قبل الدولة العثمانية

الى ان يجتمعوا بالمندوبين مرة اخرى في استانبول ، وأيضاً إبلاغ الروس عن طريقة الإجراء الذي يقتضيه البند الثامن من معاهدة بخارست ، وان تصدر الدولة العثمانية فرماناً بعد اتفاق الطرفين العثماني والصربي على الامتيازات التي تمنح للصرب ويرسل نص الفرمان الى الحكومة الروسية[٥٧] .

في هذه الفترة كانت الدولة العثمانية مشغولة بالثورة اليونانية ، التي طغت على الساحة الدولية ، بسبب المصالح الدولية في البحر المتوسط فقد بدا واضحا الدور الروسي البريطاني اذ وقع الطرفان بروتوكول سان بطرسبرغ في نيسان ١٨٢٦م لمساندة اليونانيين ، ادى هذا التقارب في النهاية الى عقد معاهدة لندن في ٦ تموز ١٨٢٧م بين روسيا وبريطانيا وفرنسا اتفقت الأطراف الثلاثة على التدخل لإقامة حكومة ذاتية يونانية ، وأمهلوا الدولة العثمانية شهرا لوقف عملياتها العسكرية في اليونان لكنها رفضت ، دخلت القوات العسكرية المشتركة خليج نافارين وحطمت الاسطول المصري ــ العثماني ، قاد هذا الهجوم الدولة العثمانية الى اعلان الحرب على الروس في نيسان ١٨٢٨م[٥٨] خصوصا بعد إعلان بريطانيا وفرنسا أسفهما عن الهجوم وانه حصل بطرق غير متوقعة ، كانت الحرب السبب الرئيسي إلى عدم تطبيق بنود اتفاق اق كرمان ، فبقت المسألة الصربية معلقة على ما تأول إليه السياسة الروسية في البلقان وتطور علاقاتها بالدولة العثمانية .

حقق الروس انتصارات واسعة وخصوصاً في البلقان اذ تمكنوا من السيطرة على مساحات واسعة حتى تمكنوا من دخول مدينة ادرنة في اب ١٨٢٩م ، وكانت الدولة العثمانية بعد هزائمها المتلاحقة تعمل على ضرورة توفير الجهد العسكري لمعركة استانبول ، تدخلت بريطانيا وفرنسا لغرض الصلح بين الروس العثمانيين وذلك خوفاً من سيطرة الروس على المضايق ، وافقت الدولة العثمانية على الدخول بمفاوضات وذلك لحراجة موقفها العسكرية ، بدأت المفاوضات ولم تدم طويلاً ، تم التوصل الى عقد معاهدة ادرنة في ١٤ ايلول ١٨٢٩م[٥٩] ، وهنا نركز اهتمامنا على البند السادس الذي يتعلق بصربيا ونص على الآتي :-

" بما ان الظروف التي حصلت من ابتداء عقد اتفاق آق كرمان لم تسمح للدولة العثمانية بالاهتمام في تنفيذ ما جاء بالعقد المنفصل المختص بالصرب الملحق بالبند رقم ٥ من الاتفاق المذكور فهو يتعهد بكيفية جلية بأن تقوم بتتميمها بدون ادنى امهال وبالضبط الأتم ، وخصوصاً في ان يعيد الستة اقسام المنفصلة عن الصرب اليها حتى تتمتع هذه الامة الصادقة الطائعة بالراحة والرفاهية ، اما الفرمان الموشى بالخط الشريف الذي يصدر بتنفيذ القيود المذكورة فيرسل الى دولة روسيا الإمبراطورية وتعلن به رسمياً في ميعاد شهر من تاريخ التصديق على المعاهدة "[٦٠] .

وفق هذه المعاهدة اصبحت صربيا تتمتع بجميع الحقوق التي تنص عليها معاهدة آق كرمان ، وتكون الحكومة الروسية المراقب على ضمان تنفيذ هذا البند من المعاهدة[٦١] .

٣- الدور الروسي في اصدار فرمانيّ ١٨٢٩ و ١٨٣٠م والتطورات في صربيا حتى عام ١٨٤٤ .

اكدت الحكومة الروسية في حماية صربيا ضمن معاهدة ادرنة والتزمت الحكومة العثمانية بموجبها بتنفيذ جميع ماتضمنه ميثاق اق كرمان بشأن صربيا وبإعادة النواحي الست التي كانت قد اقتطعتها منها ، بالإضافة الى اصدار فرمان يضفي الشرعية على استقلالها الداخلي ، وفعلا صدر فرمان عثماني وجه الى باشا بلغراد ، اعلن فيه تنفيذ جميع المعاهدات والاتفاقيات القائمة بين الروس والدولة العثمانية بشأن صربيا ، على هذا جرت محادثات بين الروس والصربيين من جهة والروس والعثمانيين من جهة اخرى ، حول تفاصيل وكيفية تنفيذ هذا الفرمان ، وطريقة إعادة الأراضي التي اقتطعتها الدولة العثمانية من صربيا في عام ١٨١٣م ، نتج عن هذه المحادثات اصدار فرمان عثماني في ١٨٢٩م و فرمان ثاني في ١٥ اب ١٨٣٠م اعترفت فيه الدولة العثمانية بميلوش اميراً على صربيا ويحكم بطريقة وراثية[٦٢] ، وهنا كانت جهود ميلوش بارزة ، فقد سعى بمختلف الوسائل ، بما في ذلك رشوة كبار المسئولين في استانبول ، لانتزاع المزيد من التنازلات لصالح الإمارة الصربية ، وما يؤكد ذلك كتابه الى مندوبيه في استانبول خلال فترة الإعداد للخط الشريف في ١٨٣٠م ، يطلب منهم تقديم الأموال لمن يملكون القرار في استانبول[٦٣] .

اما اهم مانص عليه فرمان ١٨٢٩م وفرمان ١٨٣٠م ، السلطة العليا في الامارة الصربية للدولة العثمانية ، تعيين مبلغاً من المال تدفعه صربيا مقابل تمتعها بالاستقلال الداخلي الذاتي ، الاعترف بميلوش أميراً لها في صربيا وقدمت الدولة العثمانية بموجب الفرمان وعداً بإعادة المناطق المقتطعة من صربيا بعد ان يتفق مفوضون عثمانيون وروس يرسلون لغرض تعيين حدود هذه المناطق ، كما نص الفرمان على حق ميلوش ان تكون له قوة عسكرية يحافظ فيها على النظام في الامارة ، وحرية الصربيين التجارة في الدولة العثمانية ، بالإضافة الى تأسيس مستشفيات ومدارس ومطابع ودوائر للبريد ، ويقتصر وجود الحاميات العثمانية على ست قلاع ، ولا يحق لهم العيش خارج القلاع وعليهم ان يبيعوا ممتلكاتهم الموجودة خارج القلاع ، لم يكتفي ميلوش بهذا لذا عمل على ضم اجزاء من المناطق المقتطعة بالتدريج رغم معارضة الدولة العثمانية ، وقام بإثارة وإشعال انتفاضة في شرق صربيا ، اضطرت الدولة العثمانية الى اصدار مرسوم في تشرين الثاني ١٨٣٣م أُقر فيه بضم المناطق

المقتطعة إلى الإمارة الصربية[٦٤] ، وجاءت موافقة الدولة العثمانية على إصدار هذا المرسوم نتيجة انشغالها بحروب محمد علي باشا[٦٥] في مصر ، ادت هذه الاجراءات الى تناقص عدد السكان العثمانيين في صربيا ففي احصائية لعام١٨٣٤م كان الوجود العثماني يشكل ٦٠% من سكان مدينة بلغراد بينما الصربيون واليهود يشكلون ٤٠% ، ولكن مع انتقال اجهزة الحكم الذاتي الصربي من مدينة كراغويفاتس[٦٦] الى بلغراد تجاوز الصربيون لاول مرة نسبة ٥٠% في ١٨٤٤م بينما نسبة العثمانين انخفضت الى ٣١%[٦٧] ، وبهذا التنازل امتدت حدود الصرب حتى نهر تيموك شرقاً ، ونهر الدانوب شمالاً ، وفي الجنوب امتدت من الشرق الى الغرب شمال مدينة نيش وراشكا بأتجاه شمالي غربي حتى نهر درينا مكونة الحدود الغربية[٦٨] .

في اربعينيات القرن التاسع عشر توترت العلاقة بين الدولة العثمانية وصربيا بسبب صعود الحركة القومية الصربية والتي اصبحت الركيزة الاساسية للصربين ، الذين تبنوا مشروع وزير خارجيتهم اليا غراشانين Alya Grachenin الذي وضعه في عام ١٨٤٤م وعرف بمشروع Nacertanija (الصرب الكبرى) واصبح اساساً للسياسة الخارجية الصربية ، ويهدف هذا المشروع الى اقامة صربيا الكبرى المتجانسة عرقيا والمتجذرة بعمق في الثقافة السياسية الصربية ، وهي مخطط لضم الاراضي التي يعيش فيها الصرب ضمن الدولة العثمانية والنمساوية بدعم من بريطانيا وفرنسا اللتان تفضلان ذلك على التوسع الروسي في منطقة البلقان[٦٩] .

ثالثاً :- التطورات الداخلية الصربية والإقليمية (١٨٦١- ١٨٧٨) وانعكاسهاعلى الصراع الروسي والعثماني .

١- الثورة الصربية الثالثة ١٨٦١- ١٨٦٧م والسياسة الروسية منها .

كان الصربيون يتطلعون الى اكثر استقلالية من الحكم الذاتي ، لكن معاهدة باريس عام ١٨٥٦م التي انهت حرب القرم بين روسيا والدولة العثمانية أكدت على منح الصرب الحكم الذاتي تحت السيادة العثمانية[٧٠] ، لكن أحداث الحرب وماترتب عليها أدى الى إضعاف سلطة الدولة العثمانية في البلقان ، لذا خطا ميلوش خطوات واسعة نحو الانفصال ، فأظهر ميلوش الانفصال حين أعلن وراثة الحكم لإبنه ميخائيل Michael[٧١] في عام ١٨٥٩م من دون الرجوع للدولة العثمانية واخذ موافقة السلطان[٧٢] .

توفي ميلوش في عام ١٨٦٠م تسلم العرش ابنة ميخائيل الذي وضع سياسة تطلعية كان هدفه الاساسي طرد العثمانيين بالكامل

من صربيا ومن البلقان بشكل عام ، لذا عمل على اعاد تنظيم الحكومة وجعلها اكثر كفاءة وقوة بما يكفي لقيادة حرب بلقانية للتحرر من العثمانيين ، داخلياً عمل على زيادة السلطة المركزية لحكمة ، كما عمل الى اطلاق دعاية قومية لازالة العثمانيين من البلقان من خلال بث الروح القومية في جميع البلاد لكي يلهم الشباب للانضمام الى جيشه[٧٣] ، واصدر في عام ١٨٦١م قانونا بتجنيد الذكور الذين يتراوح عمرهم من٢٠ الى ٥٠ سنة ، فضلا عن إنشاء وزارة الحرب ، وتوفير تسهيلات التدريب للضباط ، لكن على الرغم من سوء تجهيز الجيش فقد كان أعظم جيش في البلقان في تلك الحقبة اذ يتكون من ٩٠ الف جندي[٧٤] .

خشيت الدولة العثمانية من امتداد الثورة الى بلاد الصرب بعد قيام ثورة في بلاد البوسنة والهرسك عام ١٨٦١م ثم تبعهم الجبل الاسود ، بتحريض كل من الروس والصرب مستغلين الشعور العام بعدم الرضا بسبب مساوئ النظام الاقطاعي العثماني ، فقامت بنشر عدد كبير من القوات العثمانية على حدودها لمنع انتشار الثورة ، لكن مالبث ان وقعت عدة اشتباكات على الحدود مع الجنود الصربيين ، فثار سكان بلغراد الامر الذي ادى الى اعتداء احد الصربيين على جندي عثماني فقتله الجندي العثماني وكان ذلك في ١٠ حزيران ١٨٦٢م تطورت الاحداث الى صدام مسلح بين الصربيين والعثمانيين ، اضطر القائد العثماني للتدخل وسحب العثمانيين الساكنين داخل المدينة ، ثم سلطت المدفعية على المدينة لمدة اربع ساعات متواصلة ، فتدخل قناصل الدول الاوربية واوقفوا اطلاق القنابل ، طلبت صربيا من بريطانيا التدخل لحسم هذه المسألة لكن بريطانيا كان جوابها ضرورة الخضوع للدولة العثمانية ، ولكن روسيا وفرنسا اصرتا على التدخل في هذه المسألة ، وانعقد مؤتمرا في استانبول ضم مندوبي الدول الموقعة على معاهدة باريس ، في نهاية المؤتمر تقرر بالاغلبية جلاء القوات العثمانية عن قلعتين فقط وبقاءها في اربع قلاع هي بلغراد وفتح اسلام وشباتس وسلمندرة ، وان لايتدخل القادة العثمانيون ابداً في الادارة الداخلية للصربيين[٧٥] ، ووقع الاتفاق في ٨ ايلول ١٨٦٢م[٧٦] .

استمر الروس في محاولاتهم لاخراج الحامية العثمانية من القلاع الاربع التي بقيت على الاراضي الصربية ، وكان لهم هذا بعد قيام ثورة صربية في عام ١٨٦٧م ، اضطرت الدولة العثمانية الى عدم التدخل عسكرياً نتيجة الأزمة المالية ، ولم يبقى للعثمانيين من السيادة على صربيا غير رفع العلم العثماني بقلعة بلغراد الى جانب العلم الصربي ودفع جزية سنوية ، بعد انسحاب القوات العثمانية في ١٠ نيسان ١٨٦٧م[٧٧] .

٢- الازمة البلقانية ١٨٧٥–١٨٧٨م والاجتياح الروسي الصربي للأراضي العثمانية .

ترجع جذور الازمة الى عام ١٨٦١م كما اسلفنا ، تمكنت الدولة العثمانية من انهاء تلك الاضطرابات ، استمر تدخل الروس والصربيين في تحريض سكان البوسنة والهرسك للقيام بثورة على العثمانيين والمطالبة بالاستقلال ، واستغلوا تذمر الفلاحين من سوء معاملة الملاكين ، والذي ادى بالنهاية الى قيام ثورة في شهر تموز عام ١٨٧٥م التي عبر قادتها رغبتهم في الوحدة السياسية مع الصرب مما يدل على نمو القومية الصربية ، ولهذا حصلوا على مساعدات عاجلة من الصرب والجبل الاسود ، بالمقابل أمرت الدولة العثمانية بقمع الثورة والقضاء عليها وتمكنت من ذلك ، كما عملت على كسب الاهالي من خلال اصدار فرمان في تشرين الاول ١٨٧٥م الذي أُلحق بفرمان اخر في كانون الاول من العام نفسه ، بناءً على نصيحة من الروس لكي تكون هي صاحبة الفضل بحل الازمة ، منحتهم الدولة العثمانية وفقا للفرمانيين بعض التسهيلات الادارية ، و الحرية الدينية ، وتشكيل مجلس استشاري منتخب ، فصل السلطة القضائية عن السلطة التنفيذية ، توحيد الضرائب ، الا ان اهالي البوسنة والهرسك رفضوا هذه الاجراءات الاصلاحية وطالبوا بجلاء القوات العثمانية عن البلاد كما فعلت في الصرب واستمروا بالثورة ، لم تقتصر بداية الازمة البلقانية على ثورة البوسنة والهرسك فمن جانب اخر قامت في بلغارية ثورة في بداية ايار عام ١٨٧٦م بعد ان حصلوا على وعد من الروس بدعمهم بالجيوش في حال اذا ما انتصرت عليهم الجيوش العثمانية ، كما انها ستدفع قيمة ما سيدمر من المساكن والمزارع[٧٨] .

أ- الدبلوماسية الروسية أثناء الأزمة البلقانية لضمان توسعها وهيمنتها .

مع اندلاع الأزمة البلقانية في عام ١٨٧٥م ، كانت روسيا في مقدمة الدول التي اهتمت بالعمل الجاد لتأمين مصالحها ، وكانت سياستها تتجه في خطين ، الاول دبلوماسياً بالتفاهم مع النمسا وتوحيد سياساتهم في البلقان ، والثاني العمل على تفعيل دور الجامعة السلافية[٧٩] التي تستمد قوتها من العاطفة الدينية الارثوذكسية والتي مقرها موسكو ، حاولت النمسا عن طريق وزير خارجيتها اندراسي Andrassy[٨٠] حل الازمة لكن مذكرته التي قدمها فشلت ، ادى هذا الى عقد لقاء في برلين بين وزير الخارجية الروسي غورجاكوف Gorchakov[٨١] والمستشار الالماني بسمارك Bismarck[٨٢] واندرسي في اذار ١٨٧٦م ، اقترح غورجاكوف مشروعاً لتدخل الدول الاوربية في استانبول لغرض اجبار العثمانيين بالقيام باصلاحات ، وبالمقابل كان الروس

يعملون ايضا من اجل ان تقام دول مستقلة في البلقان ، كان بسمارك يسعى الى تقسيم الدولة العثمانية ، لكن اندرسي لم يؤيده ، ادى هذا الخلاف الى تقديم مذكرة جديدة من قبل اندراسي تشتمل على مشروعاً جديداً للاصلاح ، اصر الروس فيه على استخدام العقوبات لإجبار الدولة العثمانية على القيام بإصلاحات فعلية ، انتهى الاجتماع بتوقيع مذكرة برلين وأرسلت الى ممثلي الدول الكبرى وافقت عليها ايطاليا وفرنسا ورفضتها بريطانيا لانها شعرت ان الروس يعملون على تفكيك الدولة العثمانية ، اما الدولة العثمانية فقد رفضتها لانها تمس سيادتها ، بالاضافه الى كون عدم موافقة بريطانيا جعلها غير فعالة[٨٣] ، وردت عليها بعد ان مالت الكف لها في حربها مع الصرب ، كما سيرد ذكره لاحقاً .

جاءت هذه الازمة وفق ماتخطط له الروس والذين يبحثون عن فرصة للقضاء على الدولة العثمانية وتفكيكها ، وبدأوا بالعمل على جني ثمار سياستهم ، ومن اجل تحييده موقف النمسا ، ولا تعرقل مساعيهم واهدافهم في البلقان ، فقد عقدت معها اتفاقية رشتشتادت في تموز ١٨٧٦م ونصت على مبدأ عدم التدخل ، ومنع الدولة العثمانية من الانتقام من الصرب في حال انتصارها وحرمانها من ثمرة الانتصار ، وفي حال انتصار الصرب يأخذون الروس باسارابيا من رومانيا ، وتحتل النمسا البوسنة والهرسك ، وفي حال انهيار الدولة العثمانية تصبح استانبول مدينة حرة[٨٤] .

ب- دخول الصرب الحرب .

بعد ان اوعز الروس للصرب والجبل الاسود باعلان الحرب على الدولة العثمانية عمل أمير الصرب بالاستعداد وشراء الاسلحة والمدافع وجمع الجيوش وتدريبها ، كما ارسلت الحكومة الروسية احد ضباطها وهو الجنرال تشرنايف Chernivtsi الى الصرب ليقود جيوشها ، وكان بصحبته مجموعة من الضباط الروس وعملت الحكومة الروسية على إقالتهم من الخدمة بالجيش الروسي مؤقتاً للالتحاق بالجيش الصربي ، هذه التحشيدات العسكرية اثارة حفيظة الدولة العثمانية التي جمعت جيشاً مكون من اربعين الفاً بمدينة نيش لصد الصربين في حال اجتازوا الحدود ، وبالفعل اجتازت الجيوش الصربية الحدود بقيادة الجنرال تشرنايف الروسي في بداية تموز ١٨٧٦م ، وتمكنت القوات العثمانية بعد معارك استمرت عشرة ايام من الحاق الهزيمة بالفرق الاربعة التي يقودها تشرنايف ، اتخذ القادة العسكريين العثمانيين قراراً بالتوجه الى بلغراد ، وصمموا على دخول مدينتي الكسناس وديلجراد الواقعتين على طريق بلغراد وفصل الفرقة التي يقودها تشرنايف عن الفرقة التي كانت معسكرة في مدينة زايتسا ، ويأتي هذا بعد ان تمكن

القوات العثمانية من السيطرة على مدينة نياشيواز ، استمرت المعارك طوال شهر آب تمكن الجيش العثماني الوصل الى مقربة من بلغراد وانتظر الأوامر من استانبول لدخولها ، هنا بدأ امير الصرب التوسط لدى قناصل الدول الأوربية للضغط على الدولة العثمانية لإيقاف تقدمها[٨٥] .

ردت الدولة العثمانية على مذكرة برلين التي قدمتها الدول الاوربية بمذكرة تتضمن شروط منها حضور امير الصرب الى استانبول لاعلان ولائه للدولة العثمانية ، وان تعيد امارة الصرب القلاع الاربع التي خولت احتلالها عام ١٨٥٢ مع بقاءها تابعة للدولة العثمانية ، وان تلغي الفصائل المسلحة الخارجة عن القانون ، وان تدفع تعويضات عن الحرب ، لكن الدول الاوربية رفضتها ، فأوعزت الدولة العثمانية لقواتها بالتقدم الى بلغراد ، وتمكن القوات العثماني من السيطرة على مدينة جونيس في ٢٩ تشرين الاول ١٨٧٦م التي جعلها تشرنايف مقراً لمعسكره وزحفت الجيوش العثمانية الى بلغراد ، ولما وصلت هذه الانباء الى الروس وهو خلاف مايتوقعونه ، ارسلت مذكرة عن طريق وزير خارجيتها غورجاكوف طالبت فيها بإيقاف القتال خلال يومان وان تُعلن هدنة لمدة ست اسابيع او شهرين ، واذا لم تستجب الدولة العثمانية فأن الحكومة الروسية سوف تقطع جميع العلاقات مع الدولة العثمانية ، من جانب آخر أعلنت الحكومة الروسية التعبئة العسكرية وتحشيد ٦ فرق على حدودها القريبة من مناطق القتال ، اضطرت الدولة العثمانية لاعلان قبول وقف اطلاق النار واعلان الهدنة منعاً للعراقيل السياسة ، منحت هدنة لشهرين ومددت فيما بعد الى شهر اذار ١٨٧٧م ، اما الدول الاوربية فقد قدمت مقترحاً لعقد مؤتمراً في استانبول تبحث فيه مشكلة البلقان لكي تؤمن عدم انفراد الروس بتسوية مع الدولة العثمانية ، لكن هذا المؤتمر لم يتوصل الى نتيجة بسبب المطالب التي لم توافق عليها الدولة العثمانية ومنها التنازل عن بعض الأراضي لصالح صربيا ، وتشكيل قوات مشتركة من العثمانيين والصرب ، انفض المؤتمر وارسلت الحكومة الروسية برقيه الى سفراءها في الدول الأوربية تشرح فيه رفض الدولة العثمانية قرار المؤتمر ويطلب منهم الاستفسار من الدول الاوربية عن كيفية التعامل مع الدولة العثمانية[٨٦] .

في هذه الاثناء عقدت الدولة العثمانية صلح مع الصرب ، واهم شروطه ان تخلي الدولة العثمانية بلاد الصرب من العساكر العثمانية وتعود الى ماكان اليه قبل الحرب بشرط ان لاتبني الصرب اي قلاع جديدة ، وان يرفع العلم العثماني الى جانب العلم الصربي للاشارة الى بقاءها تحت السيادة العثمانية[٨٧] ، ضغط الروس على الدول الاوربية للضغط على الدولة العثمانية بعد رفضها مقررات

مؤتمر استانبول ، وكان نتيجه هذا الضغط ان عقد مؤتمر في لندن في ٣١ اذار ١٨٧٧م وصدر عن المجتمعين بروتوكول عرف باسم بروتوكول لندن وهو عبارة عن انذار من الدول الاوربية الى الدولة العثمانية ، يطالب باجراء تحسينات لرعايا الدولة العثمانية في البلقان ، واجراء اصلاحات في البوسنة والهرسك وبلغاريا ، وعقد صلح مع الجبل الاسود مع منحهم بعض الاراضي التي يطالبون بها ، مع تأكيد صلحهم مع الصرب ، رفضت الدولة العثمانية البروتوكول[٨٨] .

كان الروس أثناء المؤتمرات يستعدون للحرب دبلوماسياً وعسكرياً ، فكان توجههم الدبلوماسي الاول نحو النمسا اذ عقد الطرفان معاهدة بودابست السرية في ١٥ كانون الثاني ١٨٧٧م وعدلت في ١٨ آذار ١٨٧٧م تنص على وقوف النمسا على الحياد في حال نشوب حرب بين الروس والعثمانيون بشرط ان يوافق الروس على ضم البوسنة والهرسك للنمسا ، واستيلاء الروس على باسارابيا وعدم دخول قواتهم رومانيا ، بالاضافة الى عدم قيام دولة سلافية كبيرة ، اما الوجهة الثانية فكانت نحو رومانيا وبتوجيه من القادة العسكريين الذين كانت وجهة نظرهم العسكرية ، ولكي يصلوا الى عمق الاراضي العثمانية كان على جيوشهم ان تمر عبر الاراضي الرومانية ، لذلك اضطرت الحكومة الروسية الى عقد معاهدة مع رومانيا في ١٦ نيسان خلافاً لما جاء في معاهدتها مع النمسا ، تسمح لقواتها بعبور الأراضي الرومانية ، وتعهدت رومانيا من جانبها بالمشاركة في الحرب مقابل احترام الروس لسيادتهم مع انها كانت تحت السيادة العثمانية[٨٩] .

اعلن الروس الحرب على الدولة العثمانية في ٢٤ نيسان ١٨٧٧م ، وكانت الصرب غير متحمسة لدخول الحرب فقد كانت قواتها غير جاهزة ، بالاضافة الى ذلك لم تكن هناك دلائل محددة بشأن ضمان مكاسب اقليمية ، كما انها تريد ضم اراضي من البوسنة والاراضي التي تعتقد انها تابعة لصربيا ، لكن الروس كانت تربطهم بالنمسا اتفاقيات سرية لم يكن بأمكانهم منحهم وعوداً بضمها ، من جانب اخر تأكد الصربيين ان الحكومة الروسية تقف الى جانب بلغاريا ، ففي مؤتمر الاستانة اراد السفير الروسي اجناتيف Ignatiev منح نيش وسكوبيه وبريزرن لبلغاريا برغم ادعاءات الصرب في تلك المناطق ، ولذا عندما طلب الروس المساعدة من الصرب اثناء معارك بلفنه[٩٠] اخذت الصرب وقتا طويلاً للرد ، وطلبت من الروس تقديم مساعدة مالية مع اشارة واضحة للمكاسب الاقليمية[٩١] .

حدثت متغيرات على الساحة الحربية فقد استطاع الروس ان يحرزوا انتصارات في البلقان وسيطروا على مدينة بلفنه وفي الجبهة

الشرقية فقد سيطروا على مدينة قارص[٩٢] ، وبمجرد وصول خبر سقوط المدينتين الى الصرب ايقنوا ان النصر من نصيب الروس ، لم يتأخروا في اعلان الحرب على الدولة العثمانية ، وسارت جيوشهم على الفور للانضمام الى جانب الروس ، في ٢٠ كانون الاول ارسلت الدولة العثمانية منشوراً الى بلاد الصرب تخبرهم فيه بغدر اميرهم وانه يسوقهم الى الدمار والخراب وانها عزلته من منصب الامارة جزاء عدم محافظته على العهود ، تمكنت القوات المتحالفة من التقدم واستمر القتال طيله الشتاء ووجه الروس جيوشهم الى ماوراء جبال البلقان كي تحتل الروملي الشرقية بمساعدة الجيش الصربي ، ودخلوا صوفيا[٩٣] في ٤ كانون الثاني ١٨٧٨م وفيليبه[٩٤] ودخلو ادرنه[٩٥] ، كما استطاع الصربيون السيطرة على مدينة نيش ، وسارت الجيوش من ادرنه باتجاه استانبول ووصلوا الى مسافة خمسين كيلومتراً منها ، لذلك لم ترى الدولة العثمانية بد من طلب الصلح وقبول مايطلبه العدو لعدم قدرتها على الاستمرار في القتال ، ووصول الجيوش الروسية الصربية الى ضواحي استانبول[٩٦] ، وافق الروس على وقف اطلاق النار لكن اشترطوا استقلال الصرب ورومانيا والجبل الاسود ، ومنح بلغاريا استقلالاً ادارياً ، وجعل الادارة في البوسنة والهرسك مستقلة ، وضع غرامة حربية على الدولة العثمانية ، وافق السلطان العثماني وعقدت الهدنة في ادرنة في ٣١ كانون الثاني١٨٧٨م[٩٧] .

٣- معاهدتي سان ستيفانو وبرلين في ١٨٧٨م (الانكماش العثماني والتوسع والهيمنة الروسية) .

ربح الروس الحرب عسكرياً لكن بقي ان تربحها دبلوماسياً ، الذي عُد الاصعب ، لاسيما بوجود البريطانيين ، فعلى الرغم من ان ردة الفعل البريطانية تجاه الحرب وتقدم القوات الروسية في الأراضي العثمانية كان غائباً ، إلا أنهُ كان حازماً تجاه مسألة مصير منطقة المضايق والعاصمة استانبول ، اذ يحتلان مركزاً اساسياً في الدبلوماسية البريطانية ، وعلى هذا الاساس استمرت المراسلات الدبلوماسية بين الروس والبريطانيين بعد وصول انباء الهدنة لكنها لم تفضي الى شي ، استلم البريطانيين تقارير تفيد بان لدى الروس نيه للتفاوض على تعديل القوانين المتعلقة بمسألة المضايق ، بالاضافة الى ورود شائعات بشأن التوصل لاتفاق يتضمن تسوية لمسألة المضايق على اساس ثنائي بين الروس والعثمانيين ، امرت الحكومة البريطانية قائد اسطولها في البحر المتوسط باقتحام المضايق وتمكن من ذلك في ٢٣ كانون الثاني ١٨٧٨م ، ادى هذا الاجراء الى ازمة انتهت بتعهد القيصر الروسي بعدم دخول العاصمة استانبول وبالمقابل انسحب الاسطول البريطاني من منطقة المضايق[٩٨] .

اجتمع الطرفين في بلدة سان ستيفانو قرب استانبول على بحر مرمرة في شهر شباط ١٨٧٨م ، قدم المندوب الروسي شروطاً مسبقة وطلب التوقيع عليها وإلا تتقدم الجيوش الروسية الى استانبول ، اضطر المندوب العثماني التوقيع على المعاهدة في الفترة التي حددها المندوب الروسي وهي قبل ٣ اذار ، وتنص المعاهدة على : استقلال امارة الجبل الاسود مع رسم الحدود ، استقلال امارة الصرب استقلالاً كاملاً وتضاف اليها اراضي جديدة ، وتشكل لجنة يمثلها عضوان من روسيا وعضوا من الصرب وعضوا من الدولة العثمانية لرسم الحدود بين الصرب والدولة العثمانية ، تستقل بلغاريا استقلالاً ذاتياً ويتم انتخاب امير لها بأشراف روسي ، تحصل دولة رومانيا على استقلال تام ، تدفع الدولة العثمانية غرامة حربية ، فتح المضايق امام السفن التجارية المتوجه الى روسيا[٩٩] .

ادى التوسع الروسي والحروب التي خاضتها بمساعدة الدول البلقانية الى محو الوجود العثماني في الروملي باجمعه تقريبا ، ولم يبقى للدولة العثمانية الا اربع مناطق صغيرة الاولى استانبول والثانية مدينة سالونيك والثالثة مكونة من ابيروس وجزء من بلاد الارنؤوط والرابعة من اقليمي البوسنة والهرسك وما بقي منه جزء اعطي للصرب والاخر للجبل الاسود وشكل الباقي امارة مستقلة ادارياً تعرف بأمارة بلغاريا ، كما اضيف شرط احتلال الروس لبلغاريا لمدة سنتين لاستتباب الامن فيها ، هذه المناطق الاربع لااتصال بين ثلاث منه الا عن طرق البحر ولا بين الثالثة والرابعة الا بطريق ضيق تمر بين اراضي الصرب والجبل الاسود ولايزيد اتساعها في بعض المواضع عن خمسة كيلومترات بحيث يتيسر لإحدى الدولتين منع الجيوش العثمانية من المرور وقطع الطريق عليها كلياً[١٠٠] .

في ظل هذه المعاهدة اصبح الروس المهيمنين على المنطقة بشكل كبير واثّروا على توازن القوى في اوربا[١٠١] ، قوبلت المعاهدة بعاصفة من الاحتجاجات من قبل بريطانيا والنمسا ، فقد رأت بريطانيا ان المعاهدة اعطت الروس مركزاً مهماً في البلقان ، بالاضافة الى الاستقلال الذاتي للبلغار يقضي على امال اليونان ، كما انهم سيكونون ذراعاً للروس يحركونهم متى شاؤا الى قلب الدولة العثمانية ، فضلاً عن حرية مرور السفن الروسية عبر المضايق واغلاقها وقت الحرب بوجه سفن الدول التي في حالة حرب مع الروس ، وكانت النمسا من اشد المعارضين للمعاهدة اذ لم يرد فيها نص يسمح باحتلال البوسنة والهرسك ، كما ان قيام بلغاريا تحت السيطرة الروسية خرق لمعاهدة ١٨٧٧م ، في هذا المناخ المتأزم كانت الفرصة كبيرة لبسمارك كي يقوم بدور المنقذ للسلام العالمي بدعوة الى عقد مؤتمر تحل فيه اوربا مشاكلها ، وفعلا

عقد مؤتمر برلين في ٢٣ حزيران ١٨٧٨م والذي عدل بعض بنود معاهدة سان ستيفانو ، ومنها مايخص بلغاريا فقد اعيد ترتيبها وشطرت الى ثلاث اقسام ، اما البوسنة والهرسك تكون السيطرة السياسية النمساوية على ان تبقى الادارة فيها عثمانية ، بعد هذا الاجراء اصبح وجود نمساوي في غرب البلقان يقابله وجود روسي في شرقه ، وقد فصلت هذه السيطرة النمساوية بين الصرب والجبل الاسود ، اتم استقلال الاولى ووسعت حدودها ، وتقلصت حدود الاخيرة ، واضيف الى اليونان اجزاء واسعة من الاراضي لتوسيع حدودها من جهة الشمال ، كما قرر المؤتمر ان تتنازل الدولة العثمانية عن اراضي في شرقها لروسيا[١٠٢] .

الخاتمة .

تعد الحركة الصربية أولى الحركات الاستقلالية التي حدثت في البلقان من اجل الانفصال عن الدولة العثمانية ، كانت في بداياتها ترنوا للتخلص من سطوة الانكشارية ، والتي شغلت الدولة العثمانية لفترة من الزمن ، حاولت الدولة العثمانية في بعض الاحيان تلبيه مطاليب الصربين عن طرق اعطائهم بعض الحقوق ، وفي بعض الاحيان استخدمت القوة من اجل قمع ثوراتهم ، هذه الاجراءات جعلت الصربيين يبحثون عن داعم لهم من اجل تحقيق مطاليبهم ، هنا وجدوا ضالتهم عند الروس الذين كانوا على خلاف وعداء مستمر مع الدولة العثمانية ويبحثون عن فرصة من اجل التوسع في الاراضي العثمانية ، اخذت المسألة الصربية منحاً اخر بعد دخول الروس على خط الازمة ، اذ أدى بها إلى توسيع مطالب الصربين من نيل بعض الحقوق الى نيل الاستقلال ، ارتكز الموقف الروسي على ثلاث اتجاهات:-

الاول :- حصول روسيا على تنازلات من الدولة العثمانية عن طريق استغلال الحركات الانفصالية في البلقان وكانت اولها الحركة الصربية ، اذ عملت على دعم الصربيين عسكرياً وسياسياً من اجل الحصول على ما ترنوا اليه ، وهذا كان واضحا بنيلها باسارابيا وبعض الاراضي عن طريق معاهدة بوخارست ، بالاضافة الى ان الروس استغلوا حالة الضعف التي كانت تمر بها الدولة العثمانية من اجل تقوية مركزهم في البلقان ، حيث عملوا على عقد معاهدات هدفوا من خلالها الوصول الى سواحل استانبول والمرور بالمضايق (البسفور والدردنيل) .

الثاني :- محاولتهم دعم ومساندة الصرب من اجل حصولهم على الادارة الذاتية اولاً ، ومن ثم دعمهم في الاستقلال بشكل نهائي ، وتصبح مفتاحاً لهم لفرض سيطرتهم على البلقان ، وعلى هذا الأساس رفضت النمسا مساعدة الصرب ، وكانت في اغلب مواقفها متطابقة مع مواقف للدولة العثمانية .

الثالث :- تقديم كل الدعم والمساندة للصربين بأعتبارهم الحليف الرئيسي لهم في البلقان ، على الرغم من تخليهم عنهم في بعض المواقف ، كما ان الانتصارات التي حققها الثوار الصربيين او التي حققتها الروس كانت لها نتائج على المدى البعيد ، اذ حصل الطرفين على مكاسب كبيرة ، وكان ذلك واضحا في المحصلة النهائية فقد كان الروس بمثابة الراعي الابوي لجميع الاتفاقات بين الصرب والدولة العثمانية ، وظهر جلياً في الفرمانات العثمانية التي خصصت من اجل حل المسألة الصربية.

رابعا :- عمل الروس على جر الاطراف البلقانية جميعاً الى صراع مع العثمانيين من اجل ارهاقها واجبارها على تقديم تنازلات اكثر ، ومن هذا المنطلق كان الروس المحرض الرئيسي للامارات البلقانية والذي قاد في النهاية الى حدوث الازمة البلقانية ودخول تلك الامارات في حرب ضد العثمانيين الى جانبهم كان من نتائج تلك الازمة استقلال الصرب والجبل الاسود وبعض الامارات الاخرى ، وخسارة العثمانيين لاغلب اراضيهم في البلقان مع توسع روسي وفرض هيمنتها على بعض الاراضي العثمانية.

الهوامش

[1] البلقان هو الاسم الذي يطلق على شبه الجزيرة التي تقع في جنوب شرق أوربا ، واطلق الاسم في العهد العثماني على جبل هاموس أي (الجبل الكبير) باللغة اليونانية ومن ثم على شبه الجزيرة كلها ، والبعض يقول ان التسمية جاء اصلها من كلمة تركية معناها تلال مرتفعة ، ويقول آخرون انها محرفة من كلمة (بلخان) بالفارسية التي تعني ايضاً ارض مرتفعة ، اما في اللغة العربية فكلمة (بلق) تعني (سواد وبياض) ويقال ارض بلق أي ارض مرتفعة خالط سوادها بياضها عند رؤيتها من بعيد ، (وبلق) تعني ايضاً (انفتح) والبلقان يعني البلد المفتوح ، يحدها من الجنوب بحر مرمرة وبحر ايجة ومن الشرق البحر الأسود ومن الشمال نهر الدانوب ومن الغرب البحر الادرياتيكي وتضم داخلها اراضي دول عدة وهي : اليونان والبانيا وبلغاريا ورومانيا والجزء الاوربي من الدولة العثمانية وصربيا والجبل الأسود ومقدونيا وكرواتيا والبوسنة والهرسك وسلوفينيا وكوسوفا ، وتعد منطقة البلقان من أكثر المناطق التي شهدت صراعات دموية عبر تاريخها الطويل . ينظر :- محسن حمزة حسن العبيدي ، الازمة البلقانية ١٨٧٥ – ١٨٧٨ دراسة في السياسة العثمانية والدبلوماسية الاوربية ، اطروحة دكتوراة غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة الموصل ، (الموصل ، ٢٠٠٠) ، ص ص ٨ – ٩ .

[2] البوسنة Bosna :- سميت نسبة الى نهر البوسنة ، كانت مملكة بذاتها الى ان اصبحت ولاية عثمانية في عام ١٥٨٠م ، تقع في الروملي مركزها بوسنة سراي او سرايفو ، تحدها سلوفينيا وصربيا وكرواتيا والبانية . ينظر :- ينظر :- س . موستراس ، المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية ، ترجمة : عصام محمد الشحادات ، دار ابن حزم ، (بيروت ، ٢٠٠٢) ، ص ١٧٦ .

[٣] وسام عبد العزيز فرج ، البوسنة – الصرب – كرواتيا – قراءة في التاريخ الباكر ، دراسات عين (٣) ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، (مصر ، ١٩٩٤) ، ص ٥٤ .

[٤] بلغراد :- عاصمة الصرب واكبر مدنها ، تعرضت لحصار في عام ١٤٤٠م وأيضاً في عام ١٤٥٦م ولكونها من اشد المدن البلقانية تحصينا آنذاك فقد صمدت ، لكن تمكن العثمانيين من فرض سيطرتهم عليها في عام ١٥٢١م ، وأصبحت مقراً للحاكم العثماني بسبب موقعها الجغرافي المميز عند التقاء نهري الدانوب والسافا ، بقيت تحت السيادة العثمانية إلى عام ١٨٦٧م عند خروج أخر جندي عثماني بعد الثورة التي جرت في عام ١٨٦٢م . ينظر :-

Encyclopedia of The Ottoman Empire , p 89 .

5) Ibid , p 89 , p 163 .

6) Donald Quataert , The Ottoman Empire 1700 _ 1922 , Cambridge University Press , Second Edition , (New York , 2005) , p 38 .

[٧] محمد فريد بك المحامي ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق احسان حقي ، دار النفائس ، (بيروت ، ١٩٨١) ، ص ص ٣١٦ – ٣٢٣ .

[٨] معاهدة زشتوى :- عقدت بسبب التغييرات الداخلية في النمسا بعد وفاة جورج الثاني وتولي ليبولد الثاني عرش النمسا ، اذ سعى لعقد صلح مع العثمانيين تخوفاً من قيام النمساويين بالثورة ضده تقليداً للأمة الفرنسية التي كانت ثائرة (ثورتها الأولى) ضد لويس السادس عشر . ينظر :- مصطفى كامل ، المسألة الشرقية ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، (القاهرة ، ٢٠١٢) ، ص ٣٦ .

[٩] المحامي ، المصدر السابق ، ص ص ٣٦٣ _ ٣٦٤ .

10) Quataert , Op . cit , p 49 –51 .

[١١] وِدين ، مدينة محصنة في الروملي ، مركز ولاية ولواء ودين تقع على نهر الدانوب . ينظر :- موستراس ، المصدر السابق ، ص ٤٨٧ .

[١٢] لسكوفاتس :- وتعرف ايضا لسقوفجة Leskofischa و لسكوفاتز Leskovatz مدينة في الروملي تقع على نهر سوراوا ، بالقرب من مدينة نيش .ينظر :- المصدر نفسه ، ص ٤٤٥ .

[١٣] هاشم صالح التكريتي ، المسألة الشرقية المرحلة الاولى ١٧٧٤ – ١٨٥٦ ، دار ومكتب عدنان ، (بغداد ، ٢٠١٦) ، ص ص ٥١ – ٥٢ .

[١٤] تشارلز بيلافيتش وبربارا بيلافيتش، تفكيك أوربا العثمانية إنشاء دول البلقان القومية ١٨٠٤ – ١٩٢٠ ، ترجمة : عصام الدسوقي ، دار العالم الثالث (القاهرة – د . ت) ، ص ص ٣٩ – ٤٠ .

[١٥] باشوان اوغلي ، ولد في الفترة المحصورة ١٧٥٨ – ١٧٦٢ وتوفي عام ١٨٠٧م وهو احد الأعيان في البلقان ، تمرد على الدولة العثماني ، عارض الإصلاحات التي قام بها السلطان سليم الثالث ، تمكن من حكم منطقة ودين الواقعة في شمال غرب بلغاريا وشمال شرق صربيا حتى وفاته . ينظر :-

Encyclopedia of The Ottoman Empire , p 447 .

[١٦] التكريتي ، المصدر السابق ، ص ٥٣ ؛ المحامي ، المصدر السابق ، ص ٣٨٣ .

[١٧] ماهر حامد جاسم محمد النورة ، " الحرب العثمانية _ الروسية ١٨٠٦ _ ١٨١٢م من وجهة نظر المؤرخين الروس المعاصرين " ، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية ، مركز صلاح الدين الايوبي للدراسات التاريخية والحضارية ، جامعة تكريت ، المجلد ٩ ، العدد ٢٩ ، حزيران ٢٠١٧ ، ص ٣١٢ .

[١٨] جورج بتروفتش George Petrovich :- ولد في الفترة المحصورة بين ١٧٦٠ _ ١٧٧٠م ، انضم الى المتطوعين الصرب الى جانب النمسا في حربها مع الدولة العثمانية ١٧٨٨ – ١٧٩١م ، بعد صلح ستفونا اشتغل بالتجارة ، اثناء الاضطرابات التي حدثت مع الانكشارية قبيل قيام الثورة الصربية ترك التجارة وانضم الى الاهالي للوقوف ضد الانكشارية ، اصبح القائد الفعلي للثورة الصربية بعد اندلاعها عام ١٨٠٤م واستمر الى ان انتهت الانتفاضة الاولى بعد معاهدة بوخارست بين العثمانيين وروسيا التي فر على اثرها الى النمسا ، قتل على يد ميلوش في عام ١٨١٧م . ينظر :-

Edward Creasy ,History The Ottoman Turks from the beginning of their empire to the present time , Henry Holt and Company , First American Edition , (New York , 1878) , p p 470 - 471 .

[١٩] روبرت مانتران (اشراف) ، تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة بشير السباعي ، الجزء الثاني ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، (القاهرة – ١٩٩٣) ، ص ١٩ ؛ التكريتي ، المصدر السابق ، ص ص ٥٣ – ٥٤ ؛

Creasy , op . cit , p 469 .

[٢٠] بيتر شوجر ، أوربا العثمانية ١٣٥٤ – ١٨٠٤ في أصول الصراع العرقي في الصرب والبوسنة ، ترجمة : عاصم الدسوقي ، دار الثقافة الجديد ، الطبعة الاولى ، (القاهرة ، ١٩٩٨) ، ص ٢٧٣ ؛ بيلافتش ، المصدر السابق ، ص ٤٤ – ٤٥ .

[٢١] مولدافيا :- تسمى ايضا البغدان ومولدوفيا بالرومانية ، منطقة جغرافية وتاريخية في رومانيا الحالية وتقع في أقصى شمال شرقها . ينظر :- موستراس ، المصدر السابق ، ص ١٦٦ .

[٢٢] ولاشيا :- تسمى ايضا الافلاق ، والفلاخ هو الاعتماد التركي ، وهي جزء من رومانيا الحالية وهي عبارة عن جزيرة صغيرة بين سلسلة جبال كربات ونهر الدانوب تحدها مولدافيا وترنسلفانيا شمالاً والمجر وصربيا غرباً وبلغاريا جنوباً وبرجه الرومانية شرقاً . ينظر :- المصدر نفسه ، ص ٧٨ .

[٢٣] بيلافيتش ، المصدر السابق ، ص ص ٤٤ – ٤٥ – ٤٦ .

[٢٤] ايمان بنت علاء الدين ابراهيم صائغ ، العلاقات العثمانية النمساوية ١٢١٩ – ١٢٨٤ / ١٩٠٤ – ١٨٦٨ دراسة تاريخية حضارية ، اطروحة دكتوراه

غير منشورة ، كلية الشريعة والدراسية قسم التاريخ ، جامعة ام القرى (الرياض ، ٢٠١٥) ، ص ٧٢ .

[٢٥] الجزر السبعة ، وهي جزر على الساحل اليوناني الغربي تبلغ مساحتها ٩٦٣ ميل مربع ، وهذه الجزر كورفو Corfu ويشيرا Cythera و ليوكاس Leukas وسفالورنيا Cephalonia وزانتي Zante وباكسوس Poxsواثياكا Lthaca ، وكانت البندقية قد استحوثت عليها في حدود ١٤٠٠م ثم الحقت بفرنسا ١٧٩٧م ، وقعت تحت السيادة العثمانية بين عامي ١٨٠٠ – ١٨٠٧م ، ثم بعد ذلك انضمت الى فرنسا عام ١٨٠٧م ، وبموجب مقررات مؤتمر فينا ١٨١٥م وضعت تحت الحماية البريطانية . ينظر :- فاطمة حسين فاضل المفرجي ، العلاقات العثمانية الفرنسية ١٨٣٠ – ١٨٧٦ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة الموصل ، (الموصل ، ٢٠١٣) ، ص ٣٥ .

[26] Creasy , op .cit , p 473 ; التكريتي ، المصدر السابق ، ص ص ٥٩ – ٦٠

[27] Quataert , Op . cit , p 55 ; التكريتي ، المصدر السابق ، ص ص٦٠ – ٦٢

[٢٨] بيلافتش ، المصدر السابق ، ص ص ٤٤ –٤٦ .

[٢٩] هاشم صالح التكريتي " الدول الكبرى والنضال من اجل الاستقلال في صربيا في بداية القرن التاسع عشر " ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد ٣٣ ، السنة الثالثة عشرة ، ١٩٨٧ ، ص ٩٩ .

[٣٠] امنار عبد الجبار جاسم الدوري ، العلاقات الروسية – العثمانية ١٨٢٨ – ١٨٤١ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية جامعة تكريت ، (تكريت ، ٢٠١٠) ، ص ٣٤ .

[٣١] التكريتي ، الدول الكبرى . . . ، ص ٩٩ .

[٣٢] صلح تلست :- ابرم بين روسيا وفرنسا في ٧ تموز ١٨٠٧م أنهت الحرب بينهما ، نص في بعض بنوده على ان تتوسط فرنسا بين الروس والعثمانيين لانهاء الحرب بينهم ، وتضمن الصلح بند سري اذا لم توافق الدولة العثمانية على وساطة فرنسا بعد انسحاب الروس من مولدافيا وولاشيا بعد إمضاء الهدنة على ان لاتدخلها جيوش الدولة العثمانية حتى تتم الوساطة ويتم الصلح ، واذا لم توافق الدولة العثمانية خلال خمس وثلاثين يوماً ، تتحد فرنسا وروسيا على سلخ جميع الولايات العثمانية في اوربا ماعدا استانبول وماحولها وعلى النحو التالي :- يكون لفرنسا البوسنة والبانيا وايبروس واليونان ومقدونيا ، وروسيا تحصل على مولدافيا وولاشيا والبلغار واقلي متراس لغية نهر ماريتسا ، وارضاء النمسا باعطاءها بلاد الصرب ، تمكن الفرنسين من اقرار هدنة مؤقتة بين الروس والعثمانيين والتي استطاعت ايقاف الحرب لمدة سنتين ، على الرغم

من عدم انسحاب الروس من مولدافيا وولاشيا . ينظر :- المحامي ، المصدر السابق ، ص ص ٣٩٥ – ٣٩٦ .

[٣٣] صائغ ، المصدر السابق ، ص ٧٤ ؛ التكريتي ، الدول الكبرى . . . ، ص ص ٩٩ _ ١٠٠ .

[٣٤] بيلافيتش ، المصدر السابق ، ٤٦ .

[٣٥] التكريتي ، المسألة الشرقية . . . ، ص ص ٦٧ – ٦٨.

[٣٦] المحامي ، المصدر السابق ، ص ٤٠١ ؛ صائغ ، المصدر السابق ، ص ص ٧٥ – ٧٦ .

[٣٧] بيلافيتش ، المصدر السابق ، ص ٤٧ ؛ التكريتي ، الدول الكبرى . . . ، ص ص ١٠٠ – ١٠١ .

[38] Harold Temperley , England and The Near East The Crimea , Longmans green and co , First Published , (London , 1936) , p p 50 – 51 ;

النورة ، المصدر السابق ، ص ٣٣٢ .

[39] Creasy , op . cit , p 490 -491 .

[40] Ibid , p 491 .

[٤١] المحامي ، المصدر السابق ، ص ٤٠٢ .

[٤٢] عماد عبد العزيز يوسف ، الأوضاع الداخلية في الدولة العثمانية في عهد السلطان عبد المجيد الأول ١٨٣٩ _ ١٨٦١ ، أطروحة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب جامعة الموصل ، (الموصل ، ٢٠١٣) ، ص ٢٢ ؛ صائغ ، المصدر السابق ، ص ص ٧٧ – ٧٨ .

[٤٣] التكريتي ، الدول الكبرى . . . ، ص ١٠١ ؛ صائغ ، المصدر السابق ، ص ٧٨ .

[٤٤] المحامي المصدر السابق ، ص ٤٠٢ .

[45] Creasy , op . cit . p 495 .

[٤٦] التكريتي ، المسألة الشرقية . . . ، ص ص ١٠١ – ١٠٢ .

[٤٧] ميلوش اوبرينوفتش :- ولد في ١٧٨٠م في بلدة (ستردنيا دوبرنيا) في صربيا ، كان يعمل فلاحاً ومارس بداية حياته رعي المواشي ، انضم الى جورج بتروفتش ، في عام ١٨٠٥ م عين قائداً في قوات الثورة ، أصبح القائد الفعلي للثورة في عام ١٨١٣م ، بعد هرب جورج ابروفتش الى النمسا ، توفي عام ١٨٦٠م . ينظر :- الموسوعة العربية الميسرة ، المجلد السادس ، شركة ابناء شريف الانصاري للطباعة والنشر والتوزيع ، (بيروت ، ٢٠١٠) ، ص ص ٣٣٣٠- ٣٣٣١ .

[٤٨] علي حسون ، العثمانيون والبلقان ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية ، (بيروت ، ١٩٨٦) ، ص ١٩٥ .

[٤٩] المحامي ، المصدر السابق ، ص ص ٤٠٢ – ٤٠٣ ؛ حسون ، المصدر السابق ، ص ١٩٥ .

[٥٠] التكريتي ، الدول الكبرى . . . ، ص ١٠٢ .

51) Theophile , Lavalle , Histoire L'Empire Ottoman Depuis Les Temps Anciens Jusqu'a Nos Jours , Garner Freres Libraires Editeurs , (Paris , 1855) , p 464 ;

محمد سهيل طقوش ، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة الى الانقلاب على الخلافة ، دار النفائس ، الطبعة الثالثة ، (بيروت ، ٢٠١٣) ، ص ٣٣٦ ؛ بيلافتش ، المصدر السابق ، ص ٥٠ .

[٥٢] حسون ، المصدر السابق ، ص ١٩٥ ؛ المحامي ، المصدر السابق ، ص ٤٠٣ .

[٥٣] التكريتي ، الدول الكبرى . . . ، ص ١٠٢ .

54) Lavalle , op , cit , p 464 ;

حسون ، المصدر السابق ، ص ١٩٦ .

[٥٥] التكريتي ، المسألة الشرقية . . . ، ص ٧٢ .

[٥٦] المحامي ، المصدر السابق ، ص ٤١٩ .

[٥٧] المصدر نفسه ، ص ص ٤٢٥ – ٤٢٦ .

58) Lavalle , op , cit , p 478 ;

بيلافتش ، المصدر السابق ، ص ص ٦٠ – ٦١ .

[٥٩] الدوري ، المصدر السابق ، ص ص ٧٢ – ٧٤ .

[٦٠] المحامي ، المصدر السابق ، ص ٢٣٦ .

61) Lavalle , op , cit , p 487 .

[٦٢] التكريتي ، الدول الكبرى . . . ، ص ١٠٢ –١٠٣ .

[٦٣] محمد م .الارناؤوط ، البلقان من الشرق الى الاستشراق ، منتدى العلاقات العربية والدولية ، (الدوحة ، ٢٠١٤) ، ص ٤٤ .

[٦٤] التكريتي ، المسألة الشرقية . . . ، ص ٧٣ ؛ الارناؤوط ، المصدر السابق ، ص ٤٤ .

[٦٥] محمد علي :– ولد في مدينة قوله في البانيا عام ١٧٦٩م وعندما بلغ اشدّهُ التحق بالجندية ، كما اشتغل بالتجارة ، وبعد الغزو الفرنسي لمصر امر الباب العالي بإرسال قوة عثمانية لإخراج الفرنسيين من مصر ، التحق بهذهِ القوة وبعد خروج الفرنسيين من مصر ، اصبح قائداً على اربعة الاف جندي الباني ، بعدها دخلت مصر في صراعات داخلية استغلها محمد علي ليصبح والياً على مصر في عام ١٨٠٥م . ينظر:

Encyclopedia of The Ottoman Empire, p p 372 – 373 .

[٦٦] مدينة كراغويفاتي Kargujevac تقع في وسط صربيا ، اتخذها ميلوش مقرا لحكومة ، بعد الصلح العثماني الصربي في عام ١٨١٥ .ينظر:– الارناؤوط ، المصدر السابق ، ص ٤٣ .

[٦٧] المصدر نفسه ، ص ٤٥ .

[٦٨] بيلافتيش ، المصدر السابق ، ص ٦٨ .

69) Philip J. Cohen , Serbians Secret War Propaganda and The Deceit of History , Texas

University Press , Fourth Printing , (Texas , 1999) p 3 – 4 .

الارناؤوط ، المصدر السابق ، ص ٤٦ .

[٧٠] صائغ ، المصدر السابق ، ٢١٢ .

[٧١] ميخائيل :- ولد في عام ١٨٢٣م تقلد الامارة مرتان الاولى بعد تنازل والدة عن الحكم لاخية ميلان الذي توفي بعد ثلاثة اشهر من تولية الحكم في عام ١٨٣٩م لذا وقع الاختيار على ميخائيل لتولى الحكم ، لكن محاولاته الاصلاحية ادت الى عزله في عام ١٨٤٢م ، واصبح الكسندر قره جورج اميراً مكانه ، وفي عام ١٨٥٨م اعيد ميلوش والد ميخائيل الى حكم الامارة الصربية وعند وفاته في عام ١٨٦٠م اصبح ميخائيل اميراً مرة ثانية ، ادخل الاصلاحات العصرية ، ومهد الطريق لتحرير بلادةتحريراً تاماً من الحكم العثماني ، قتله اعضاء حزب مناصر لآل قره جورج في عام ١٨٦٨م . ينظر :- الموسوعة العربية الميسرة ، المجلد السادس ، ص٣٣٢٤ .

[٧٢] طقوش ، المصدر السابق ، ص ٣٩٨ .

[73] Aleksandera Ilic , " Origin and Development of Political Parties in Serbia and Their Influence on Political Life in The Period 1804 – 1918 " Facta Universitatis , Series : Law and Politics vol 4 , N 1 , 2006 , P 45 – 46 .

[٧٤] بيلافتش ، المصدر السابق ، ص ٧٧ .

[٧٥] بسام العسلي ، فن الحرب الإسلامي في العهد العثماني ، المجلد الخامس ، دار الفكر ، (د . م ، د . ت) ، ص ص ٣٤٠ – ٣٤١ .

[٧٦] حسون ، المصدر السالق ، ص ٢٢٠ .

[٧٧] ساهرة حسين محمود الصامري ، اوضاع الدولة العثمانية في عهد السلطان عبدالعزيز ١٨٦١ – ١٨٧٦ اصلاحاته والتطورات في البلقان ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة البصرة ، (البصرة ، ٢٠١٠) ، ص ص ٧١ – ٧٢ _ ١٥٩ .

[٧٨] المصدر نفسه ، ص ص ١٥٩ – ١٧١ .

[٧٩] الجامعة السلافية :- فكرة انتشرت بين السلاف الروس الخاضعين لحكم النمسا وبروسيا والدولة العثمانية ، وتدعو الى توحيد جميع السلاف في دولة واحدة عاصمتها القسطنطينية وتتزعم هذه الحركة روسيا . ينظر :- العبيدي ، المصدر السابق ، ص ٥٤ .

[٨٠] اندرسي :- ولد في عام ١٨٢٣م ، سياسي مجري ، من ابرز شخصيات ثورة ١٨٤٨ – ١٨٤٩ ، رجع من المنفى في عام ١٨٥٨م وفاوض في انشاء مملكة النمسا والمجر ١٨٦٧م ، ترأس الوزارة في المجر ، تولى وزارة خارجية النمسا والمجر ١٨٧١ – ١٨٧٩ ، توفي في عام ١٨٩٠ . ينظر :- الموسوعة العربية الميسرة ، المجلد الاول ، ص ٤٦٩ .

[٨١] غورجاكوف :- ولد في عام ١٧٩٨م شغل منصب وزير خارجية روسيا من عام ١٨٥٦ م حتى عام ١٨٨٢م توفي في عام ١٨٨٣م . ينظر:- الموسوعة العربية الميسرة ، المجلد الثالث ، ص ١٢٥٨ .

[٨٢] بسمارك :- سياسي الماني ولد في عام ١٨١٥م لاسرة براندنبورجية عريقة ، درس في جوتنجن وبرلين ، تقلد بعض المناصب القضائية والادارية الصغيرة ، انتخب في عام ١٨٤٧م عضوا في البرلمان البروسي (الاندتاخ) ، ايد توحيد المانيا بزعامة بروسيا ، عين سفيرا في بطرسبورج وباريس ، في عام ١٨٦٢م اصبح رئيس وزراء بروسيا (المستشار) ، خاض عدة حروب من اجل توحيد المانيا ، واصبح رئيس وزراء (المستشار) المانيا بعد وحدتها ، توفي في عام ١٨٩٨ م . ينظر:- الموسوعة العربية الميسرة ، المجلد الثاني ، ص ٧١٤ – ٧١٥ .

[83] Nahida Hussein Ali AL-Asad , البلقان خلال السنوات ١٨٧٥ – ١٨٧٧ في الوثائق الامريكية , Route Educational and Social Science Journal , Volume 2(1), January 2015, pp 289 -291 .

[84] Ibid , p 292 .

[٨٥] المحامي ، المصدر السابق ، ص ص ٦١٠ – ٦١٤ .

[86] AL-Asad , op . cit , p 292 ;

المحامي ، المصدر السابق ، ص ص ٦١٥ – ٦١٦ – ٦١٨ .

[٨٧] المصدر نفسه ، ص ٦١٩ .

[٨٨] طقوش ، المصدر السابق ، ص ٤٢٩ .

[٨٩] عمر عبد العزيز عمر ، تاريخ اوربا الحديث والمعاصر ١٨١٥ – ١٩١٩ ، دار المعرفة الجامعية ، (مصر ، ٢٠٠٠) ، ص ٢٠٥ ؛ طقوش ، المصدر السابق ، ص ٤٢٨ .

[٩٠] بلفنه :- وتعرف ايضا بلاونه Pilawna بلدة في ولاية ودين في الروملي . ينظر :- مستراس ، المصدر السابق ، ص ٢٠٧ .

[٩١] بيلافيتش ، المصدر السابق ، ص ١٧٢ .

[٩٢] طقوش ، المصدر السابق ، ص ٤٣٠ .

[٩٣] صوفيا :- مدينة في الروملي في بلغاريا ، مركز اللواء الذي يحمل الاسم نفسه ، في ولاية نيش . ينظر :- موستراس ، المصدر السابق ، ص ٣٣٤.

[٩٤] فيليبه :- تعرف ايضا فيلييبولس Philippolis ، مدينة في الروملي ، في منطقة تراقيا ، مركز اللواء الذي يحمل الاسم نفسه ، في ولاية ادرنة . ينظر :- المصدر نفسه ، ص ٣٧٦ .

[٩٥] ادرنه :- او ادريانوبولس Adriaopolis مدينة في الروملي ، مركز ولاية ولواء ادرنة تقع عند ملتقى نهر مريج وطونجه واردة .ينظر :- المصدر نفسه ، ص ٣٥ .

[٩٦] المحامي ، المصدر السابق ، ص ص ٦٣٧ – ٦٣٨ – ٦٣٩ ؛ حسون ، المصدر السابق ، ٢٤٣ .

[٩٧] طقوش ، المصدر السابق ، ٤٣٣ .

[٩٨] احمد ناطق ابراهيم " اثر مضيق البسفور والدردنيل في تغيير الموقف البريطاني من الحرب الروسية – العثمانية ١٨٧٧ – ١٨٧٨ " مجلة مداد الاداب ، العدد العاشر ، ص ص ٤٤٢ – ٤٥٢ – ٤٥٤ – ٤٦٨ .

[٩٩] علي حسون ، العثمانيون والروس ، المكتب الاسلامي ، (بيروت ، ١٩٨٢) ، ص ص ١٤١ – ١٤٢ .

[١٠٠] المحامي ، المصدر السابق ، ص ص ٦٦٤ – ٦٦٥ .

[101] Quataert , op .cit , p 58 – 59 .

[١٠٢] طقوش ، المصدر السابق ، ص ٤٣٧ – ٤٤٥ .